مسودة قواعد التوحيد

قواعد التوحيد

جمع

أبي عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى وسدده

مقدمة المؤلف

الحمد لله الواحد الأحد الملك القدوس الصمد الرحمن الرحيم

فعال لما يشاء خالق كل شيء كما شاء

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الحنفاء الداعي

إلى رضوان الله وتوحيده الساعي في نفي الشرك وتنديده

أما بعد

فهذا كتاب مختصر جمعت فيه نوادر الدرر من قواعد وأصول التوحيد ، لأن ضبط القواعد من أحسن الفوائد ، وأنفع العلوم في كل معلوم

وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم...

(المنهاج ٥/٨٣).

والعجيب أن أكثر هذه القواعد وجدتُ نحوها في (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله وذلك دليل على عظمة ذلك الكتاب.

وكثير من هذه القواعد مأخوذة من كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى وغيرهما

والله الموفق وحسبي الله ونعم الوكيل

كتبه / أبو عبد الله المصنعي

أواخر ١٤٣٢هـ - دار الحديث معبر



بسم الله الرحمن الرحيم

القواعد في التوحيد

(1)

قاعدة - دين الإسلام مبني على أصلين التوحيد و المتابعة .

الشرح : قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي رحمه الله تعالى : أصل الدين وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه .

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله .... (الدرر السنية ٢/٢٢) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وهذان الأصلان جماع الدين ألا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع قال تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا » وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى « ليبلوكم أيكم أحسن عملًا » قال: أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا لم يكن خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة .[1]

=

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٩٥) .

= وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله ، فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الإلهية له فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لابد أن يكون الدين كله لله كما قال تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فإن كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » فالمؤمنون يحبون لله والمشركون يحبون مع الله كما قال تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله » . وانظر [illegible]

• والشهادة بأن محمدًا رسول الله ، تتضمن : تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فما أثبته وجب إثباته ومن نفاه وجب نفيه كما يجب على الخلق أن يثبتوا [illegible] لله ما أثبته الرسول لربه من الأسماء والصفات وينفوا عنه ما نفاه عنه من مماثلة [illegible] المخلوقات فيخلصوا من التعطيل والتمثيل ويكونوا في إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وعليهم أن يفعلوا ما أمر به وأن ينتهوا عما نهى عنه ويحللوا ما أحله ويحرموا ما حرمه فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله [illegible] ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله ...

رواه الترمذي (٢٥٢١) وأبو داود (٤٦٧٩) من حديث أنس الجهني وصححه الألباني.

(٣)

وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا» فأخبر أنه أرسله داعيًا إليه بإذنه فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك ومن دعا إلى الله بغير إذنه فقد ابتدع، والشرك بدعة والمبتدعة يؤول إلى الشرك ولم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك كما قال تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون» وكان من إشراكهم بهم: أنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ... ولفظ الإسلام: يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص - مأخوذ من قوله تعالى «ضرب الله مثلًا رجلًا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجل» فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذه حقيقة قولنا «لا إله إلا الله» فمن استسلم لله ولغيره فهو مشرك .... أهـ المراد

(اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٣/٢ - ٣٧٧) ط العاصمة

وقال (ص ٣٦٥): والله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئًا وهذا أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب قال الله تعالى: «وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» وقال تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» «ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» ... - إلى قوله ص ٣٦٩ -: وقد بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بتحقيق التوحيد وتجريده ونفي الشرك بكل وجه ... إلخ في كلام نفيس فراجعه.

= وقال رحمه الله: عبادات المسلمين مبنية على أصلين : أحدهما : أنهم لا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له . والثاني : أنهم يعبدونه بما أمر وشرع لهم من الدين الذي بلغته رسله عنه ... (الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادات أهل الشرك والنفاق ص ٢٦) ط العاصمة . وانظر الفتاوى (١/ ٦٢٤-٦٢٥/ ٣٧٧) (١٠/ ١٤) وانظر (١/ ١٨٩) والعبودية ص ٥٥

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه هو أن يكون موافقًا للسنة مرادًا به وجه الله تعالى ... فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به بل الذي أتى به شيء غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ... (الجواب الكافي ص ١٩٦) (التفسير عند آية الكهف/ ١١٠) .

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتابه (أصول عظيمة من قواعد الإسلام) :

القاعدة الأولى : الدين كله مبني على عبادة الله وحده والاستعانة به وحده كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) ....

وقال : القاعدة الثانية : الدين الحق هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب الله وسنة رسوله .... أ.هـ وقد قام بشرحها بتوسع .

وقال المقريزي رحمه الله تعالى : واعلم أن العبد لا يكون متحققًا بعبادة الله وحده إلا بأصلين : أحدهما : متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم . والثاني : إخلاص العبودية لله تعالى .... (تجريد التوحيد ص ٩٥) ط دار القبس

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : فلا يكون العبد متحققًا ~~بعبادة الله~~ بـ (إياك نعبد) إلا بأصلين عظيمين : أحدهما : متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والثاني : الإخلاص للمعبود ، فهذا تحقيق (إياك نعبد) والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أقسام ....

[المدارج ٨٣-٨٥] .

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: في قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) أي الدين الذي لا دين سواه ولا مقبول غيره هو الإسلام وهو الانقياد لله وحده ظاهرًا وباطنًا بما شرعه على ألسنة رسله ا.هـ وانظر أضواء البيان (٣/٢٥٢-٢٥٣).

وقال محمد الشقفي رحمه الله تعالى: لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صوابًا ومن صوابها إلا ما كان خالصًا ومن خالصها إلا ما وافق السنة. (الاعتصام ١/٩٣) ط المعرفة.

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى في حديث عائشة (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) قال: هذا الحديث معدود في أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه (الفتح ٥/٣٠٢).

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى في شرح الأصول الستة: الأصل الأول: إخلاص الدين لله وحده لا شريك له هذا أصل الأصول وقاعدة الدين وهذا هو المعترك بين الأنبياء وبين الأمم فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق الله الخلق من أجله وربط سعادتهم به ... ولا يتحقق هذا الأصل إلا بترك الشرك، أما من يخلط بين العبادة لله وبين الشرك بغيره فهذا عمله حابط ... ا.هـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) هذا هو أصل الإسلام ... (الفتاوى ١/٦٢٤).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: جميع العقائد والأعمال والأحوال: إنما تبنى على توحيد الله عز وجل في العبادة وسخط عبادة ما سواه ... (المدارج ٣/١٨٢).

قاعدة ٣ - دعوة الرسل ابتدأت بالتوحيد واتفقوا عليه .

• الأدلة : قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) الآيات

وقال تعالى (وإلى عادٍ أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

وقوله (وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

وقوله (وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

وقال تعالى (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار)

وقوله سبحانه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

والأدلة كثيرة وسيأتي منها شيء في الشرح .

• وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه كما أخبر الله عن نوح وهود وصالح وشعيب وقومهم كانوا مقرين بالخالق لكن كانوا مشركين يعبدون غيره كما كانت العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

(الفتاوى ١٦/٣٣١)

وقال في درء التعارض (٨/٧): والنبي صلى الله عليه وسلم أول ما دعاهم إليه الشهادتان =

= وبذلك أمر أصحابه كما في الحديث المتفق عليه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ...»

وقال في (نقض تأسيس الجهمية): ومن المعلوم أن التوحيد الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه هو ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع مثل عبادة الله وحده لا شريك له فمن عبد غيره كان مشركًا ولم يكن موحدًا وإن أقر أنه خالق كل شيء. أ.هـ

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: فالتوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق ... والتوحيد مفتاح دعوة الرسل ... (المدارج ٣/ ٤١١).

وقال الشيخ ربيع رفع الله درجته: تلك هي دعوة الأنبياء جميعًا وعلى رأسهم أولو العزم منهم الأنبياء الذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين ألفًا ومئة ألف يسيرون في دعوتهم على منهج واحد وينطلقون من منطلق واحد هو التوحيد

وقال شيخ الإسلام في كتاب (الفتاوى الكبرى ٦/ ٥٦٤): وأما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما بيّن ذلك بقوله (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) فأخبر أنه الإله إله واحد لا يجوز أن يُتخذ إله غيره فلا يعبد إلا إياه كما قال في السور الأخرى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) =

= وكما قال : (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) الإسراء (فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) ... والشرك الذي ذكره الله في كتابه إنما هو عبادة غيره من المخلوقات كعبادة الملائكة أو الكواكب أو الشمس أو القمر أو الأنبياء أو تماثيلهم أو قبورهم أو غيرهم من الآدميين ونحو ذلك مما هو كثير في هؤلاء الجهمية ونحوهم ممن يزعم أنه محقق في التوحيد وهو من أعظم الناس شركا ... أهـ المراد

~~[illegible]~~ وسيأتي بقية كلامه في القاعدة الآتية.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : قد ذكرت فيما تقدم من القواعد أن (الإسلام) الذي هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين فيستسلم لله وحده لا شريك له ويكون سالمًا له بحيث يكون متألهًا له غير متأله لما سواه كما بيّنتْهُ أفضلُ الكلام ورأس الإسلام ؛ وهو شهادة أن لا إله إلا الله وله ضدان : الكبر والشرك ...

ولفظ (الإسلام) يتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص وقد عُلم أن الرسل جميعهم بُعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك كما قال تعالى (يحكم به النبيون الذين أسلموا) وقال موسى (إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه) وقال الخليل لما قال له ربه (أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب)- أيضًا وصى بها بنيه - (يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال يوسف (توفني مسلمًا) ونظائره كثير ... (الفتاوى ٧/ ٦٢٣-٦٢٤).

وقال (ص ٦٣٥- ٦٣٦) : لفظ الإسلام يستعمل على وجهين: متعديًا كقوله (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)...، ولازمًا كقوله (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)... ، وهو يجمع معنيين :

أحدهما : الانقياد والاستسلام .

والثاني : إخلاص ذلك وإفراده ، كقوله (ضرب الله مثلًا فيه شركاء

= متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل) وعنوانه قول : لا إله إلا الله .

وله معنيان :

أحدهما : الدين المشترك ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعث

به جميع الأنبياء ، كما دل على اتحاد دينهم نصوص

الكتاب والسنة

والثاني : ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج ... أ.هـ المراد .

وقال في (نقض المنطق ص ٣٧٧) ط مكتبة السنة : وهذا القرآن في مواضع يبين أن الرسل كلهم أمروا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذه إلهاً ، ويخبر أن أهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان ... أ.هـ المراد

وقال في الفتاوى (١٩ / ١٠٩ -) : - وذكر أدلة كثيرة ثم قال - : وذكر في النحل دعوة المرسلين جميعاً واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له فقال : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية ...

وقال في سورة الأنبياء : (وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

وقال بعد أن قص قصصهم : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .....

وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم البخاري فقال : (باب ما جاء في

= أن دين الأنبياء واحد) وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنا معشر الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1] .

ولهذا وحّد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) ومثل قوله (وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)

والإسلام دين جميع المرسلين قال نوح عليه السلام (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن السحرة (وتوفنا مسلمين) وقال الحواريون : (ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون) ... أ.هـ بتصرف .

وانظر ( ) (١١/ ١٩٥)

وقال (١٠/ ١٥٩) : فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر ، والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام والأعراف وسورة بني إسرائيل كقوله (تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) إلى آخر الآيات الثلاث ، وقوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى آخر الوصايا وقوله (قل أمر ربي بالقسط) (قل إنما حرم ربي الفواحش) الآيات فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع ... أ.هـ المراد

وانظر (الفتاوى ٢/ ١٣) (١١/ ٤٩٧) (١٤/ ٣٠٦) (اقتضاء الصراط ٢ / ٣٧٨) .

---

(1) (خ ٣٤٤٢) (٣٤٤٣) (م ٢٣٦٥) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى (الجواب الكافي ص١٤٩) : إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه وخلق السماوات والأرض ليعرف ويعبد ويوحّد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها له والدعوة له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ... (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن أعظم القسط التوحيدُ وهو رأس العدل وقوامه وإن الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم والتوحيد أعدل العدل ... فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندًا وذلك غاية الجهل، كما أنه غاية الظلم منه وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه أ.هـ . وانظر الصواعق المرسلة (ص٦١٥-٦٣).

وقال العلامة ابن قاسم رحمه الله تعالى : وأول ما يبدأ به الدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى الشهادة كما كان شأن الرسل وأتباعهم ... [الجامع الفريد شرح كتاب التوحيد ١/٢٤٩].

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى : هذا هو طريق جميع الأنبياء فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ... (الجامع الفريد ص٢٥٧).

وانظر (مجموع مؤلفات السعدي ٦ / ٣١٢/ ٣٢٤).

وقال الصنعاني رحمه الله تعالى في (تطهير الاعتقاد) : الأصل الثاني : أن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وهذا هو الذي تضمنه قول (لا إله إلا الله) ... أ.هـ المراد

قاعدة : لا يكون العبد موحدًا حتى يقر بجميع أنواع التوحيد

• الأدلة : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)

وقال سبحانه (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء)

وقال جل وعلا (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الآيات

وأشباهها من الأدلة التي يستدل بها بربوبيته سبحانه على وجوب إفراده

بالعبادة كما سيأتي ضمن الشرح .

• قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٦٤) بعد ذكر الكلام السابق في

القاعدة السابقة : قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون

ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله

إلا وهم مشركون) قال ابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد : يسألهم من خلق السماوات

والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره ويشركون به ويقولون له ولد

وثالث ثلاثة فكان الكفار يقرون بتوحيد الربوبية [وهو نهاية ما يثبته

هؤلاء المتكلمون إذا سلموا من البدع فيه] وكانوا مع هذا مشركين لأنهم =

= كانوا يعبدون غير الله، وقال تعالى (وسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة).

فبين سبحانه أنه بهذا التوحيد بعث جميع الرسل وأنه بعث إلى كل أمة رسولًا به وهذا هو الإسلام ...

والإله هو المستحق للعبادة فأما من اعتقد في الله أنه رب كل شيء وخالقه وهو مع هذا يعبد غيره فإنه مشرك بربه متخذ من دونه إلهًا آخر فليست الإلهية هي الخلق أو القدرة على الخلق أو القدم كما يفسرها هؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام إذ المشركون الذين شهد الله ورسوله بأنهم مشركون من العرب وغيرهم لم يكونوا يشكون في أن الله خالق كل شيء وربه فلو كان هذا هو الإلهية لكانوا قائلين إنه لا إله إلا الله فهذا موضع عظيم جدًا ينبغي معرفته لما قد لبس على طوائف من الناس أصل الإسلام حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونه شركًا، وأدخلوا في التوحيد أمورًا باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورًا عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله، فأكثر هؤلاء المتكلمين لم يجعلوا التوحيد إلا ما يتعلق =

= بالقول والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك ، بل التوحيد الذي لابد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد وهو توحيد العبادة وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه وهذا هو الإسلام فإن الإسلام يتضمن أصلين: أحدهما: الاستسلام لله ، والثاني : أن يكون ذلك له سالماً فلا يشركه أحد في الإسلام له ، وهذا هو الاستسلام لله دون ما سواه ، وسورة (قل يا أيها الكافرون) تفسر ذلك ، ولاريب أن العمل ومقصده مسبوق بالعلم فلابد أن يعلم ويشهد أن لا إله إلا الله وأما التوحيد القولي الذي هو الخبر عن الله ففي سورة (الإخلاص) التي تعدل ثلث القرآن وفيها اسمه (الأحد) (الصمد) وكلٌّ من هذين الاسمين يدل على نقيض مذهب هؤلاء الجهمية كما بينته في موضعه وعبادة الله وحده والتوكل عليه يدخل فيها كمال المحبة لله وحده وكمال الخوف منه وحده والرجاء له والتوكل عليه وحده كما بين القرآن ذلك في غير موضع فكل ذلك من أصول التوحيد الذي أوجبه الله على عباده وبذلك يكون الدين كله لله كما أمر الله رسله والمؤمنين بالقتال إلى هذه الغاية حيث يقول (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) ... أ.هـ وانظر الاستغاثة (١ / ٣٥٨).

وقال في منهاج السنة (٣ / ٨٩ ، ٩٠) : هذا مع أن في المتكلمين من أهل الملل من الاضطراب والشك في أشياء والخروج عن الحق في مواضع ... وأخرجوا من التوحيد =

= ما هو منه كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال تعالى (قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) وقال عنهم (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال طائفة من السلف: يقول لهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره

وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده لا يشركون به شيئًا فيكون الدين كله لله، ولا يخاف إلا الله ولا يدعى إلا الله ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء فيحبون لله ويبغضون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه، والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل، فيحبون الله بأكمل محبة ويذلون له أكمل ذل ولا يعدلون به ولا يجعلون له أندادًا ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء.

كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه القرآن وهو يتضمن التوحيد في العلم والقول والتوحيد في الإرادة والعمل ... فالتوحيد الأول: يتضمن إثبات نعوت الكمال لله بإثبات أسمائه الحسنى وما تتضمنه من صفات، والثاني: يتضمن إخلاص الدين كله له كما قال (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ← فالأول براءة من التعطيل والثاني براءة من الشرك وأصل الشرك =

اما التعطيل مثل تعطيل فرعون والذي حاج ابراهيم في ربه والدجال .. واما الإشراك وهو كثير في الأمم أكثر من التعطيل وأهله خصوم جمهور الأنبياء ...

ثم قال (ص ٩٤،٩٥) : وهؤلاء - أهل الكلام - قصّروا في التوحيد فظنوا أن كمال التوحيد هو توحيد الربوبية ولم يصعدوا إلى توحيد الإلهية الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ... والمعتزلة مقصرون في هذا الباب فإنهم لم يوفوا توحيد الربوبية حقه فكيف بتوحيد الإلهية . أ.هـ بتصرف .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فهو نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في المطلب والقصد ... (المدارج ٣/ ٤٤٩، ٤٥٠) ثم شرح ذلك بنحو ما ذكر شيخ الإسلام .

وقال ابن بطة (ت ٣٨٧هـ) رحمه الله تعالى : أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد العبد ربانية الله ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا .

والثاني : أن يعتقد وحدانيته ليكون بذلك مباينًا لمذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

والثالث : أن يعتقد أن الله موصوف بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه

= إذ قد علمنا أن كثيرًا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته

فيكون الجاحد في صفاته قادحًا في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى الاعتقاد كل واحدة من هذه

الثلاث والإيمان بها.

فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا

لطوله وسعة الكلام فيه ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده

للصفات قد أبطل دعواه لهما ... أ.هـ (الإبانة ص٦٩٣-٦٩٤) كما في كتاب البدر.

ثم استرسل في شرح ذلك.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى (المدارج ٣/١٧٩): ... أركان التوحيد: أن لا يتخذ ربًا

ولا إلٰهًا غيره ولا حكمًا ... لأن الرضا بتجريد ربوبيته

يستلزم تجريد عبادته كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم

العلم بتوحيد الإلهية ا.هـ بتصرف وانظر تجريد التوحيد (ص ٥٥-٥٧) ط القبس.

وقال (ص ١٨٢): فالرضى بالله ربا يتضمن توحيده وعبادته والإنابة إليه والتوكل عليه

وخوفه ورجاءه ومحبته والصبر له وبه والشكر على نعمه ...

وقال الصنعاني رحمه الله تعالى في كتاب (تطهير الاعتقاد): الحمد لله الذي لا يقبل توحيد

ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد من اتخاذ

الأنداد فلا يتخذون له ندًا ولا يدعون معه أحدًا ولا يتوكلون إلا عليه ...

وقال (ص ١٩٠/ط القبس): الأصل الثالث: أن التوحيد قسمان: القسم الأول: توحيد الربوبية

والخالقية والرازقية ونحوها ... والقسم الثاني: توحيد العبادة ومعناه إفراد الله

وحده بجميع أنواع العبادات فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء ولفظ =

= الشريك يشعر بالإقرار بالله ، فالرسل بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين (أفي الله شك) (هل من خالق غير الله) وتنهاهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً) الآية أي: قائلين لأممهم (أن اعبدوا الله)...

وقال: الأصل الرابع: أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون بأن الله تعالى خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)... ولذا تحتج عليهم الرسل بقولهم: (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وبقولهم (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه. أ.هـ بتصرف فلم ينفعهم ذلك ولا أخرجهم من الشرك.

وقال (ص ٢٠٣): فصل: إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله تعالى مع شركهم في العبادة ولا يغني عنهم من الله شيئاً... فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية فمن شأن مَن أقر بتوحيد الربوبية أن يفرده بالعبادة فإذا لم يفعلوا ذلك فالإقرار الأول باطل... أ.هـ لو قال: غير نافع وحده.

ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كشف الشبهات ولخصه في القواعد الأربع نحو ما ذكره شيخ الإسلام وغيره قال في القواعد: القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام...

وقال في كشف الشبهات (ص ١٢ ط دار ...): فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة ... وهذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله)... أ.هـ

وقال ابن أبي العز رحمه الله: ومن ذلك أنه - أي القرآن - يقرر توحيد الربوبية ويبيّن أنه لا خالق إلا الله وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله فيجعل الأول دليلاً على الثاني إذ كانوا يُسلّمون الأول وينازعون في الثاني فبين لهم سبحانه: إنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلم تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى ~~(شرح الطحاوية ١/٣٦-٣٧)~~ كقوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أما يشركون أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) الآيات، يقول الله تعالى في آخر كل آية (أإله مع الله) أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام انكار يتضمن نفي ذلك وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك ... (شرح الطحاوية ٣٦-٣٧).

وقال قبله (ص ٣٦): فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية الذي يقر به هؤلاء النظار ويفني فيه كثير من أهل التصوف، ويجعلونه غاية السالكين كما ذكره صاحب (منازل السائرين) وغيره وهو مع ذلك إن لم يعبد الله وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له.

وقال (ص ٢٨-٢٩): التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب: هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له =

= فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن خالق السماوات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)... ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم: تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم إلى الله وهذا كان أصل شرك العرب قال تعالى حكاية عن قوم نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا)... ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب واتخاذ الأصنام بحسب ما يُظَن أنه مناسب للكواكب من طباعها وشرك قوم إبراهيم كان -فيما يقال- من هذا الباب، وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم، وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع وأنه ليس للعالم صانعان ولكن اتخذوا هذه الوسائط شفعاء كما أخبر الله عنهم بقوله (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية... فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية... إلخ.

قال الشيخ صالح الفوزان غفر الله له : وعلاقة أحد النوعين بالآخر أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية والقيام به فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له .

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئًا فلابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام (أفرءيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين) الآيات

والربوبية والألوهية تارة يذكران معًا فيفترقان في المعنى ... وتارة يذكر أحدهما مفردًا فيجتمعان في المعنى كما في قوله تعالى (قل أغير الله أبغي ربًا)

والذي دعت إليه الرسل من النوعين هو توحيد الألوهية لأن توحيد الربوبية يقر به جمهور الأمم ... فمن أقر بتوحيد الربوبية فقط لم يكن مسلمًا ولم يحرم دمه وماله حتى يقر بتوحيد الألوهية فلا يعبد إلا الله ... - ثم ذكر كلام شيخ الإسلام من الفتاوى (٣/٩٧-٩٨) و درء التعارض (١/٢٢٤) وهو كلام جميل -

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ... فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله =

= فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له .....

- إلى أن قال : - ولهذا كان من أتباع هؤلاء - أهل الكلام - من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها ثم يقول : إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا . ومن المعلوم من دين الإسلام بالاضطرار أن هذا شرك . أ.هـ المراد . (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ٣٤-٣٨) ط المنهاج .

فائدة : الشرك في الألوهية متضمن للشرك في الربوبية

مثاله : من دعا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى أو ذبح لغيره ، لم يصرف العبادة لغيره تعالى حتى اعتقد في الغير شيئًا من الربوبية كجلب النفع أو دفع الضر أو القدرة على الإغاثة ونحو ذلك مما هو شرك في الربوبية (معارج القبول ٤٣٥/١) (القول السديد ص ٧٠) ، (اقتضاء الصراط المستقيم ٣٨٧/٢) .

فائدة أخرى : قال الشيخ عبد الرزاق البدر رفع الله درجته : وما يؤمن بالتوحيد من لم يؤمن بهذه الأقسام الثلاثة المستمدة من نصوص الشرع إذ التوحيد المطلوب شرعًا هو : الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ومن لم يأت بهذا جميعه فليس موحدًا ، بل إن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي هي أصل الإسلام وأساسه قد دلت على أقسام التوحيد الثلاثة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : (وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات وهي الأصول الثلاثة : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل عليهم وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر) أ.هـ القول السديد ص ٩ .

قاعدة: لا يصح التوحيد إلا بالبراءة من الشرك.

لا يكون التوحيد صحيحًا مقبولًا إلا بالبراءة من الشرك

الأدلة: قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

وقوله سبحانه (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني)

وقوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده)

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) رواه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير (سورة الزخرف): يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ووالد من بُعث بعده من الأنبياء: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي (لا إله إلا الله)...

وقال في (سورة البقرة): (فمن يكفر بالطاغوت) الآية، أي: من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا الله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) فقد ثبت أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم... اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أخبر الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر.. [الإيمان ص١٣].

وقال (ص ٣٦٩ / من الاقتضاء / المجلد الثاني): وقد بعث الله محمداً بتحقيق التوحيد وتجريده ونفي الشرك بكل وجه حتى في الألفاظ ... أ.هـ المراد

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: فالرضى به رباً يتضمن اتخاذه معبوداً دون ما سواه واتخاذه وليّاً [redacted] ومعبوداً وإبطال عبادة كل ما سواه وقد قال الله لرسوله (قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء) (أغير الله اتخذ وليّاً) فهذا هو عين الرضا به ربّاً وأيضاً: فإنه جعل حقيقة الرضا به رباً أن يسخط عبادة ما دونه فمتى سخط العبد عبادة ما سوى الله من الآلهة الباطلة حباً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وإجلالاً فقد تحقق بالرضى به رباً الذي هو قطب رحى الإسلام.
وإنما كان قطب رحى الدين لأن جميع العقائد والأعمال والأحوال إنما تبنى على توحيد الله عزوجل في العبادة وسخط عبادة ما سواه ... فيخرج من دائرة الشرك إلى دائرة الإسلام فتدور رحى إسلامه وإيمانه على قطبها الثابت اللازم ... (المدارج ٢/ ١٨٢) وانظر تفسيره لسورة (الكافرون) (٥/ ٣٤٥ - ٣٥٥) من بدائع التفسير.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف [redacted] للكتاب والسنة والإجماع. ا.هـ بواسطة (الإجماع ص٨٠).

وقال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله تعالى: أجمع العلماء سلفاً وخلفاً من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة وإخلاص الأعمال كلها لله.
(الدرر السنية ١١/ ٥٤٥).

= قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)

... - وذكر حديث طارق -: وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا إله إلا الله »

فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها

بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا

يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن

شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، فيالها من مسألة ما أعظمها

وأجلها ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع. أ.هـ

وقال في (تفسير كلمة التوحيد): وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها فإن

المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار (في الدرك الأسفل من النار) مع كونهم يصلون

ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها

وبغض من خالفها ومعاداته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله مخلصًا)

وفي رواية (صادقًا من قلبه) وفي حديث آخر (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله)

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من

المرسلين ومن الملائكة فضلًا عن غيرهما وإثباتها لله عز وجل .. فالذين يزعم أهل

الشرك في زماننا أنهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة،

والواسطة هو الإله، فقول الرجل: (لا إله إلا الله) إبطال للوسائط ... أ.هـ المراد

=

= وقال في رسالة (معنى الطاغوت) : واعلم أن الإنسان لا يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة الوثقى : شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات ، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له ، أ.هـ بتصرف يسير .

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله تعالى (في شرح حديث طارق) : فهذا يفسر لا إله إلا الله ، فعلق صلى الله عليه وسلم عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين : الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين بما دلت عليه من النفي والإثبات ، والثاني : الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها والبراءة مما ينافيها ... فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يأت بما يعصم ماله ودمه . أ.هـ بتصرف . (الجامع الفريد ص ٢٩٤) .

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى (ص ٢٩٦) : وحقيقة تفسير التوحيد يرجع إلى أمرين :

(١) نفي الألوهية كلها عن غير الله بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الإلهية ولا شيئاً من العبودية أحد من الخلق لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما

(٢) إثبات الألوهية لله وحده لا شريك له ...

ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها : البراءة من عبادة غير الله ، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ، ينافي معنى لا إله إلا الله ، أشد المنافاة ...

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم ولا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة ولا الدعاوي الخالية من الحقيقة بل لابد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل ، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية .

= وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: التوحيد يتضمن البراءة من الشرك بحيث لا يدعو مع الله أحدًا لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا...

وقال: وكذا يوجد في بعض الأقطار الإسلامية من يصلي ويزكي ويصوم ويحج ومع ذلك يذهبون إلى القبور يسجدون لها ويركعون فهم كفار غير موحدين لا يقبل منهم أي عمل، وهذا من أخطر ما يكون على الشعوب الإسلامية، لأن الكفر بما سوى الله عندهم ليس بشيء وهذا جهل منهم وتفريط من علمائهم...

وقال: وفي قوله (وكفر بما يعبد من دون الله) دليل على أنه لا يكفي مجرد التلفظ بـ (لا إله إلا الله) بل لابد أن تكفر بعبادة من يعبد من دون الله بل وتكفر أيضًا بكل كفر، فمن يقول (لا إله إلا الله) ويرى أن النصارى واليهود اليوم على دين صحيح فليس بمسلم، ومن يرى الأديان أفكارًا يختار منها ما يريد فليس بمسلم...

[الجامع المفيد ٣٠٠/٣٠١، ٣٠٦].

- وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: (من لم يكفر الكافر أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر)

قال الشيخ الفوزان رحمه الله تعالى: يجب أن تكفر من كفره الله ومن أشرك بالله وتتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه... (ص ١٢٨).

- وقال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى: والآيات في هذا الباب كثيرة تبين أن معنى (لا إله إلا الله) هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد وإفراد الله بالعبادة فهذا هو الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه أما قول الإنسان (لا إله إلا الله) من غير معرفة لمعناها ولا عمل به =

(٣١)

= أو دعواه أنه من أهل التوحيد وهو لا يعرف التوحيد بل ربما يخلص لغير الله من عباداته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير ذلك من أنواع العبادات ، فلا يكفي في التوحيد بل لا يكون إلا مشركًا والحالة هذه كما هو شأن عباد القبور ... (شرح كتاب التوحيد ص ١٠١).

وقال (ص ١٠٦) : وقد أجمع العلماء على معنى ذلك فلا بد في العصمة من الإتيان بالتوحيد والتزام أحكامه وترك الشرك كما قال تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » والفتنة هنا : الشرك ...

وقال : وأما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع ، (ص ٥٢).

وقال الشيخ الفوزان (شرح الأصول الثلاثة ص ٢٩) : فالإيمان بالله لا يكفي إلا مع الكفر بالطاغوت ، وإلا فالمشركون يؤمنون بالله لكنهم يشركون به (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).

قاعدة: لا يجتمع التوحيد الصحيح مع الكفر والشرك الأكبر.

الأدلة: قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

وقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) الآية كلها.

(إن الشرك لظلم عظيم)

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) رواه مسلم (٩٣).

وهذا مجمع عليه.

= وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن جماع الحسنات العدل وجماع السيئات الظلم

وهذا أصل جامع عظيم وتفصيل ذلك: أن الله خلق الخلق لعبادته فهذا هو المقصود

المطلوب لجميع الحسنات وهو إخلاص الدين كله لله وما لم يحصل فيه هذا المقصود

فيه هذا المقصود فليس [له] حسنة مطلقة مستوجبة لثواب الآخرة، وإن

كان [له] حسنة من بعض الوجوه له ثواب في الدنيا، وكل ما نهى الله عنه

فهو زيغ وانحراف عن الاستقامة ووضع للشيء في غير موضعه فهو ظلم.

ولهذا جمع الله بينهما في قوله (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد

وادعوه مخلصين له الدين) فهذه الآية في سورة الأعراف المشتملة على أصول الدين

والاعتصام بالكتاب وذم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك

وتحريم الطيبات أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم كإبليس ومخالفي الرسل

من قوم نوح إلى قوم فرعون والذين بدلوا الكتاب من أهل الكتاب فاشتملت

السورة على ذم من أتى بدين باطل ككفار العرب ومن خالف الدين الحق كله

~~ك~~ كالكفار بالأنبياء أو بعضهم ككفار أهل الكتاب... (الفتاوى ٨٦/١).

وقال (ص ٨٨): اعلم رحمك الله أن الشرك بالله أعظم ذنب عصي الله به قال الله تعالى:

«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم

سئل أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك).

= والند المثل قال تعالى (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون) (وجعل لله أندادًا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار) فمن جعل لله ندًا من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة.

... أ.هـ

وقال رحمه الله تعالى : ومعلوم أن الشرك أعظم الذنوب كما أن التوحيد أعظم الحسنات كما في حديث ابن مسعود ... وأعظم ما دعا الله الخلق إليه في كتابه ودعت الرسل إليه هو التوحيد .

وأعظم ما نهى عنه هو الشرك .

وهو -أي التوحيد- أصل دعوة الرسل وأساسها ورأسها وأكمل ما فيها وبه بعث الله جميع الرسل كما قد صرح القرآن به في أكثره فهو مملوء به ...

(الاستغاثة ١/٩٠-٩١).

وقال رحمه الله تعالى : ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أحسن الحسنات وكان التوحيد بقول (لا إله إلا الله) رأس الأمر ... (الفتاوى ١/٢٣).

ال(ص ٥٢): فالتوحيد ضد الشرك فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله فعبده لا يشرك به شيئًا كان موحدًا ومن توحيد الله وعبادته: التوكل عليه والرجاء له والخوف منه فهذا يخلص به العبد من الشرك وإعطاء الناس حقوقهم وترك العدوان عليهم يخلص به العبد من ظلمهم والشرك بهم وبطاعة ربه واجتناب معصيته يخلص العبد من ظلم نفسه .....

وقال رحمه الله تعالى: فالتوحيد أصل كل خير وجماعه والشرك أصل كل شر وجماعه والموجبتان (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) و (من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار) ولهذا لما جمع الله سبحانه وتعالى بين ما أمر به وما حرمه في قوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) ثم قال تعالى «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا» الآية (الاستغاثة ١/٢٦٣)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له وأشدها مقتًا لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه وأخبر أنه لا يغفره وأن أهله نَجَس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم أعداءً له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيدًا، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقص لعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين كما قال تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) الآية فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جُمع على أهل الإشراك فإنهم ظنوا بالله ظن السوء حتى أشركوا به ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده ... (إغاثة اللهفان ١/١٢٧-١٢٩) ط ابن الجوزي.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الأصول الثلاثة: (أعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهى الله عنه الشرك وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا). وانظر (جامع شروح الأصول الثلاثة ص ١٧٠ - ٢٠٢) ط الإيمان.

وفيه نحو ذلك من كلام ابن عثيمين وابن باز وجمع من علماء السنة.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فمن اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فقد كفر بعد إسلامه باتفاق المسلمين. (الفتاوى ٢/٢٨٤).

وسيأتي بسطه عند ذكر قاعدة (الوسائط).

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة الأول: الشرك في عبادة الله تعالى قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) الآية...

قال الشيخ الفوزان في شرحه: والشرك نوعان: الأول: الشرك الأكبر، والثاني: شرك أصغر، والشرك الأكبر: هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، وهذا النوع يخرج صاحبه من الملة ويحرم على صاحبه دخول الجنة ويخلده في النار ويحبط جميع الأعمال ويبيح دمه وماله... (٤٣ - ٤٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى: فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب... لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم... (فتح المجيد / باب الخوف من الشرك ص ١٢٨).

وما يذكر في باب الكفر الأكبر ونواقض الإيمان شاهد لهذه القاعدة في هذا الباب.

وانظر (الشرك في القديم والحديث ١/١٦٠)

قاعدة: العبادة حق محض لله عزوجل وحده لاشريك له
فما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك

• الأدلة: قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا) (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا) (فصل لربك وانحر) (إياك نعبد وإياك نستعين) (فاعبده وتوكل عليه) (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)...

وهذا مجمع عليه عند الأمة وإنما اختلفوا في مفهوم الشرك الأكبر والكفر الأكبر.

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد (باب النذر): فيه مسائل ... الثانية: إذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غير الله شرك.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في شرحه: من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: هذه قاعدة في توحيد العبادة، أي فكل ما كان عبادة فصرفه لغير الله شرك اهـ (القول المفيد ١/٢٢٣/ ط دار ابن الجوزي).

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى: كل نوع من أنواع العبادة من صرفه لغير الله أو أشرك بين الله وبين غيره فيه فهو مشرك قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً).

(تيسير العزيز الحميد ص ٤٢)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: لا تجوز العبادة إلا لله تعالى لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فينبه بنفيها عن الأعلى على انتفائها عمن هو دونهم بطريق الأولى ... (الاستغاثة ٢/٤٥٨).

وقال: قاعدة جامعة في توحيد الله تعالى وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ... قال الله تعالى ... (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) وقال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين).. ونظائر هذا في القرآن كثيرة وكذلك الأحاديث وكذلك في إجماع الأمة لا سيما أهل العلم منهم فإن هذا عندهم قطب رحى الدين ... (كتاب التوحيد ص ١٤٦-١٤٨) ط علوم القرآن.

وقال (ص ١٥٠): إن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه :

= ومحبته والإخلاص له ... ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أحسن الحسنات وكان التوحيد بقول (لا إله إلا الله) رأس الأمر ... واعلم أن هذا حق لله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ...

وقال في رسالة (العبودية ص٦): العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ... وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ... وجعل ذلك لازمًا لرسوله حتى الموت كما قال (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ...

والعبادة: أصل معناها: الذل، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ..

وهذه العبادة متعلقة بالإلهية لله تعالى ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله) بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه إلهًا آخر .

وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله ... ا هـ بتصرف .

وقال في الفتاوى (...): إن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه عند الشدائد ... وأنه لا يستحق أن يعبد أحد سواه =

= فقوله (إياك نعبد) إشارة إلى عبادته بما اقتضته الهيته من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي، (إياك نستعين) إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكل والتفويض والتسليم ... ولهذا قيل: إن هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن (إياك نعبد وإياك نستعين)...

فإذا تقرر هذا فالشرك إن كان شركًا يكفر به صاحبه وهو نوعان: شرك في الإلهية وشرك في الربوبية، فأما الشرك في الإلهية فهو: أن يجعل لله ندًا -أي: مثلًا- في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه قال تعالى (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهية قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله) الآية (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ...

وأما النوع الثاني: فالشرك في الربوبية فإن الرب هو المالك المعطي المانع فمن شهد أن المعطي المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته.

(الفتاوى ١/ ٨٨ - ٩٣) بتصرف.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القواعد الأربع: اعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة...

وقال في (الجامع لعبادة الله وحده): من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذه ربًا وإلهًا وأشرك مع الله غيره...

وقال في الأصول الثلاثة: المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد غيره =

= في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل والدليل قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا)...

وقال الشيخ صالح الفوزان (شرح الجامع لعبادة الله ص١٥٧): من صرف من العبادات نوعًا لغير الله فإنه يكون مشركًا بالله في عبادته الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة...

وقال في شرح (باب النذر من كتاب التوحيد): وعلى كل حال تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة وهذا الحديث أن النذر عبادة وإذا كان عبادة فصرفه لغير الله شرك... (إعانة المستفيد ١/ ٢٤٦-٢٤٧) وانظر (الإرشاد ص ٣٧)

وقال عبد الله القصير غفر الله له: من القواعد في توحيد العبادة أن أي أمر ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك (المفيد على كتاب التوحيد ص٩١)

وقال عبد العزيز الريس غفر الله له: ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله على وجه التعبد شرك أكبر ولا يكون شركًا أصغر إذ العبادة خاصة بالله تعالى... (قواعد ومسائل ص ٣٩).

وقال الشيخ سليمان الحمدان رحمه الله تعالى نقلًا عن قاسم الحنفي رحمه الله تعالى: النذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق... (ص١١٣ الدر النضيد على أبواب التوحيد).

وقال الشيخ القرعاوي رحمه الله تعالى: صرف العبادة لغير الله شرك (الجديد شرح كتاب التوحيد ص ١١٩).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ غفر الله له: وهنا قاعدة في أنواع الاستدلال على أن عملًا ما من =

= من الأعمال صرفه لغير الله جل وعلا شرك أكبر وذلك الاستدلال نوعان :

الأول : استدلال عام يعني ؛ أن كل دليل من الكتاب والسنة فيه إفراد الله بالعبادة يكون دليلاً على أن كل عبادة لا تصلح إلا لله فيكون الاستدلال بهذا النوع من الأدلة على تحريم النذر لغير الله وأنه شرك .

كالآتي : دل الدليل على وجوب صرف العبادة لله وحده وعلى أنه لا يجوز صرف العبادة لغير الله جل وعلا وأن من صرفها لغير الله جل وعلا فقد أشرك والنذر عبادة من العبادات فمن نذر لغير الله فقد أشرك .

(والنوع الثاني) من الاستدلال : هو أن تستدل على المسألة بأدلة خاصة وردت فيها كأن تستدل على تحريم الذبح لغير الله بأدلة خاصة وردت فيه ...

فالدليل على وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادات تفصيلاً وإجمالاً وعلى أن صرفها لغير الله شرك أكبر يستقيم بهذين النوعين من الاستدلال ... (التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ١٦٠-١٦١).

وقال (ص ١٦٤) : إذا كان عبادة فصرفها لغير الله شرك أكبر .

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى : اعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام ... (التيسير ص ١٨١) (الإجماع في الألوهية ص ٣١-٣٢).

قاعدة : الشريعة تحمي جناب التوحيد وتسد جميع الذرائع والوسائل الموصلة إلى ضعفه وحصول الشرك .

الأدلة : قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) (

ومن ذلك الأدلة الواردة في النهي عن الغلو في الأشخاص وفي القبور والأماكن ونحو ذلك وستأتي مع ضابط ومنها الأدلة التي تنهى عن الذبح بمكان عرف بالشرك وسيأتي ومنها الأدلة الواردة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى ومنها الأدلة الكثيرة الآمرة بالتوحيد والناهية عن الشرك ومنها الأدلة الواردة في النهي عن التشبه بالكفار ، ومنها الأدلة الواردة في النهي عن البدع ومنها الأدلة الواردة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ومنها الأدلة الواردة في قتل المرتد ، ومنها الأدلة التي تنهى عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة وهكذا النهي عن التصوير ... كل هذه وسائل إلى الشرك وقد منع الشرع منها ونهى عنها سدًا لذريعة الشرك والكفر .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: إنما نبهنا هنا على مقاصد الشريعة وما فيها من إخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وما سدته من الذريعة إلى الشرك دقه وجله فإن هذا هو أصل الدين وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين. (الاقتضاء ٢/٣٨٥).

وقال رحمه الله: وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد) وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده) وقال: (من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت) وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) وقال لابن عباس: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) وقال أيضًا (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله) وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد) =

= وقال (لا تتخذوا قبري عيدًا) وقال في مرضه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر مما صنعوا قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدًا. وهذا باب واسع ... (الفتاوى ١/١٣٦-١٣٧).

وانظر (١/٢٣٧) والاقتضاء (١/٤٩٨-٥٠١).

وقال المقريزي رحمه الله تعالى: وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقًا لقوله تعالى (إياك نعبد) حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين [سدًا] لذريعة التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين.

وسد الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين الذين يسجد المشركون فيها للشمس ... (التجريد ص ٧٠).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الوجه الرابع عشر: أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وكان من حكمة ذلك أنها وقت سجود المشركين للشمس، وكان النهي عن الصلاة في ذلك الوقت سدًا لذريعة المشابهة الظاهرة التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بُعد هذه الذريعة فكيف بالذرائع القريبة".

(إعلام الموقعين ٣/١٣٩-١٤٠).

وقال الشيخ صالح الفوزان رحمه الله تعالى: وإليك بيان الوسائل القولية والفعلية التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها تفضي إلى الشرك - ثم ذكر جملة مما ذكرناه ثم قال: - كل هذا حذّر منه صيانة للتوحيد وحفاظًا عليه وسدًا للوسائل والذرائع التي تفضي إليه =

= ومع هذا البيان التام من النبي صلى الله عليه وسلم والاحتياط الشديد الذي يُبعد الأمة عن الشرك خالف القبوريون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصوا أمره وارتكبوا ما نهاهم عنه فشيدوا القبور وبنوا عليها المساجد وصرفوا لها أنواعًا من العبادة من دون الله ...

(الإرشاد/٥٩ - ٦١).

قاعدة: من حقق التوحيد ولوازمه دخل الجنة.

• الأدلة: قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا)

وقال سبحانه (والذين هم بربهم لا يشركون) ونحوها من الأدلة

وقوله صلى الله عليه وسلم: « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » رواه مسلم

من حديث عثمان وأشباه ذلك من أدلة كلمة التوحيد

وحديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات لا يشرك بالله شيئًا

دخل الجنة) رواه مسلم. وحديث معاذ السابق ...

• قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وروح هذه الكلمة - كلمة التوحيد - إفراد الرب جل ثناؤه ...

بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة

والرغبة والرهبة ... ويجتمع ذلك كله في حرف واحد وهو: أن لا يعبد ~~بجميع~~

إلا إياه بجميع أنواع العبادة فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله

= ولهذا حرم على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى: « والذين هم بشهاداتهم قائمون » فيكون قائمًا بشهادته في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه ... (المحبة لابن القيم ص ٤٥٣) (الداء والدواء ٣٨١-٣٨٢) لابن تيمية.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) وذكر حديث (السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب).

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: إن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض وعمارها من جميع الخلق وذلك لكمال إخلاص قائلها وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد ... أ.هـ (شرح كتاب التوحيد ص ٢٤-٢٥).

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله -

= محبة وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة وخشية ورجاءً وتوكلًا وحينئذ تُحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات ... (جامع العلوم والحكم ٢/٤١٦-٤١٧) بتصرف.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله تعالى: تحقيق التوحيد وهو البراءة من الشرك وأهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم والله المستعان (فتح المجيد ١/١٥٦).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ رحمه الله تعالى وحفظه: وتحقيق التوحيد بمعنى تحقيق الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ومعنى تحقيق الشهادتين: تصفية الدين من شوائب الشرك والبدع والمعاصي فصار تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء:

الأول: ترك الشرك بأنواعه، والثاني: ترك البدع بأنواعها

والثالث: ترك المعاصي بأنواعها ... (التمهيد ص ٣٣-٣٦).

وقال الشيخ الفوزان غفر الله له: (من حقق التوحيد) يعني أنه لم يشرك بالله شيئًا ولم يكن عنده شيء من المعاصي هذا تحقيق التوحيد، من بلغ هذه المرتبة دخل الجنة بلا حساب أما من كان في المرتبة التي قبلها وهو الموحِّد الذي عنده ذنوب فهذا قد يُغفر له وقد يعذب بالنار ثم يخرج منها...

(إعانة المستفيد ١/٩٨-٩٩).

فالموحدون صنفان فالأول هم من حقق التوحيد وهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

وموحدون عصاة وهؤلاء تحت مشيئة الله تعالى منهم من يغفر له ومنهم من يعذب ثم مآلهم إلى الجنة

وهذا مبسوط في كتب العقيدة في باب الشفاعة.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: كلما حقق العبدُ الإخلاص في قول (لا إله إلا الله) خرج من قلبه تألّه ما يهواه ويصرف عنه من المعاصي والذنوب كما قال تعالى: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين» فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال الشيطان (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عباد منهم المخلصين) وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه حرمه الله على النار) فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار .... (الفتاوى العراقية ٢/٥٨٤) وما بعدها.

قاعدة: الدعوة إلى التوحيد من واجبات التوحيد.

• الأدلة: قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) الحديث متفق عليه

وبذلك بعث الله جميع الرسل وأمرهم بالدعوة إلى توحيده.

وشرح ذلك في (كتاب التوحيد) وشرح (القول المفيد).

قاعدة: لا إصلاح ولا سعادة إلا بالتوحيد.

• الأدلة: قال تعالى «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا» الآية.

وقال تعالى (من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: واعلم أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

« أتدري ما حق الله على عباده ؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال:
« حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » أتدري ما حق العباد على الله عز وجل
إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت: الله ورسوله أعلم. قال: « حقهم ألا يعذبهم ».

وهو يحب ذلك ويرضى به عن أهله ويفرح بتوبة من عاد إليه كما أن في
ذلك لذة العبد وسعادته ونعيمه... فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه
ويطمئن به ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه ومن عبد غير الله وإن أحبه
وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من
مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان
الله رب العرش عما يصفون) فإن قوامهما بأن تأله الإله الحق فلو كان
فيهما آلهة غير الله لم يكن إلهاً حقاً إذ الله لا سمي له ولا مثل له فكانت
تفسد لانتفاء ما به صلاحها هذا من جهة الإلهية...
واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير
فيقاس به... فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا صلاح لها إلا بإلهها
الله الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ولا صلاح لها
إلا بلقائه.

=

= ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك ... وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه ولهذا قال امامنا إبراهيم الخليل عليه السلام: (لا أحب الآفلين) وكان أعظم آية في القرآن الكريم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ...

واعلم أن هذا الوجه مبني على أصلين:

أحدهما: على أن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان وكما دل عليه القرآن ... ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي كقوله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) أي: وإن وقع في الأمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفا، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب ولذة الأرواح وكمال النعيم وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن القلوب إليه ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبدا قال تعالى: (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) فهذا أصل.

= الأصل الثاني: النعيم في الدار الآخرة أيضًا مثل النظر إليه لا كما يزعم طائفة من أهل الكلام ونحوهم أنه لا نعيم ولا لذة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكوح ونحو ذلك بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء المأثور: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة» رواه النسائي وغيره، وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه» وهو الزيادة.

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة لم يعطهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم لأن تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره ...

(الفتاوى ١/ ٢٤-٢٧) وما بعده.

وقال (ص ٣٩): والعبد كلما كان أذل لله تعالى وأعظم افتقارًا إليه وخضوعًا له كان أقرب إليه وأعز له وأعظم لقدره =

= فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله .

وأما المخلوق فكما قيل : احتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره ... (وانظر أيضا ص ٥١).

وقال في (الاستقامة ١/٩٣) : وأهل هذه الكلمة (يعني لا إله إلا الله) هم السعداء فمن مات عليها دخل الجنة كما ثبت في صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) ...

وقال رحمه الله تعالى : وأما الحق المبين فهو أن كمال الإنسان في أن يعبد الله علمًا وعملًا كما أمره ربه وهؤلاء هم عباد الله وهم المؤمنون المسلمون وهم أولياء الله المتقون وحزب الله المفلحون وجند الله الغالبون وهم أهل العلم النافع والعمل الصالح وهم الذين زكوا أنفسهم وكملوها كملوا القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية كما قال تعالى : (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) ... (الفتاوى العراقية ٢/٧٠).

ط المكتب الإسلامي.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

الباب السادس: أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه وأحب إليه من كل ما سواه ....

* ولهذا كان صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب

فالأول: من معنى الوهيته، والثاني: من معنى ربوبيته.

فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا.

والرب: هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى مصالحه

فلا إله إلا هو ولا رب إلا هو فكما أن ربوبية ما سواه ~~باطل~~ أبطل الباطل فكذلك إلهية ما سواه.

وقد جمع الله بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه كقوله (فاعبده وتوكل عليه).....

- وذكر سبعة أدلة - وقال: فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين لمعنيي التوحيد اللذين لا سعادة للعبد بدونهما ألبته....

~~الوجه الثاني: أن الله~~

(وذكر كلامًا طويلًا جميلًا نحو كلام شيخ الإسلام في الفتاوى)

[إغاثة اللهفان ١/ ٧٠ - ٩٦] ط ابن الجوزي

وانظر نحوه في (طريق الهجرتين ١/ ١١٦ - ١٢٩) ط عالم الفوائد.

و (ص ٦٤٣).

وانظر ([illegible]) من إغاثة اللهفان / ط ابن الجوزي .

وقال (رحمه الله تعالى) : إن محبة الله سبحانه والأنس به والشوق إلى لقائه والرضا به وعنه : أصلُ الدين ، وأصل أعماله وإرادته كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله : أصل علوم الدين كلّها

فمعرفته أجل المعارف وإرادة وجهه أجل المقاصد وعبادته أشرف الأعمال والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال ، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ....

فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من محبته والأنس به والشوق إلى لقائه .

والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم ، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة ...

كما قال بعضهم : مساكين أهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها ...

وقال : فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ...

[إغاثة اللهفان ٢ / ٩٣٠ - ٩٣٥) في كلام جميل فراجعه .

وانظر بدائع الفوائد (٢ / ٦٧١ - ٦٧٢) ط دار عالم الفوائد .

وانظر طريق ا

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتاب (أصول عظيمة من قواعد الإسلام):

القاعدة الخامسة: الدين الإسلامي هو الصلاح المطلق ولا سبيل إلى صلاح البشر الصلاح الحقيقي إلا بالدين الإسلامي ....

(مجموع مؤلفات السعدي ٦/٢٣٢-٢٣٨).

قاعدة: الأصل في البشرية التوحيد والشرك طارئ عليهم.

الأدلة: قال تعالى (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآيات.

وقوله (فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وحديث (كل مولود يولد على الفطرة) الحديث (خ ١٣٥٨) (م ٢٦٥٨) عن أبي هريرة.

وفي صحيح مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا ...) الحديث.

وقال تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) الآية

ويدل على ذلك: أن آدم أبو البشر نبي عليه السلام فهو أصل البشر فالأصل الإسلام والتوحيد، والشرك طارئ أوله في قوم نوح وعلى هذا جميع الملل من أصحاب الأديان السماوية لا يخالف في هذا إلا الملاحدة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولم يكن الشرك أصلًا في الآدميين بل كان آدم ومن كان من بنيه على دينه على التوحيد لله لاتباعهم النبوة ... (الفتاوى ٢٠/ ١٠٦-١٠٧).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ثم أخبر الله تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام .. (٢/ ٤١١) وانظر (الشرك في القديم والحديث ١/ ١٨١-٢٠٠) وانظر (إغاثة اللهفان ٢/ ٩٤٠).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: كيف يعني بقصد دعاء الميت والدعاء عنده وبه وأن ذلك من أسباب إجابة الدعوات ونيل الطلبات وقضاء الحاجات، وهذا كان أول أسباب الشرك في قوم نوح وعبادة الأوثان في الناس، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم[1]... (الفتاوى ١/١٦٧).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به (١٢/٤٠١/التفسير). وقرر في البداية والنهاية (١/٢٧٤) أن أول الشرك كان في قوم نوح.

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى (٢٨/٦٠٣): إن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم عليه السلام حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم [لم ينزل الله بها كتابًا ولا أرسل بها رسولًا] بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة والفلسفة الحائدة... أهـ المراد

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ... كان عليه نوح وآدم قبله وذريته هكذا الرسل بعده هم على هذا فلما حدث الشرك في قوم نوح أرسل الله نوحًا عليه الصلاة والسلام ينهاهم عنه ... (شرح كشف الشبهات ص ٧).

وانظر (شرح شروط لا إله إلا الله: للفاهدي ص ٢١٧) (رسالة الشرك ومظاهره ص ١١١).

---

(١) رواه الحاكم (٢/٥٤٦) وغيره.

قاعدة : تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه شرك .

الأدلة : قال الله تعالى عن المشركين (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله)
(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت .
قال : (أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده)
ومثله حديث قتيلة وحديث الطفيل وأحاديث النهي عن الحلف بغير الله تعالى كلها أدلة للقاعدة وهكذا أدلة التوحيد والنهي عن الشرك .
وحديث ابن مسعود أي الذنب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك) متفق عليه .

• قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : من عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه فهو مشرك ... (الفتاوى ١٣/ ١٩) .

وقال رحمه الله تعالى : في قوله تعالى « فكبكبوا فيها هم الغاوون وجنود إبليس أجمعون وقالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلل مبين إذ نسويكم برب العالمين

=

= وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو لنا كرة فنكون من المؤمنين).

وقوله (إذ نسويكم) لم يريدوا به أنهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه ، فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم ، ولا نُقل عن قوم قط من الكفار أنهم قالوا : إن هذا العالم له خالقان متماثلان ، حتى المجوس القائلين (بالأصلين : النور والظلمة) ... ، وكذلك مشركوا العرب كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض ... بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط كما قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ...

(الفتاوى ١/٧٥-٧٨) بتصرف

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والنوع الأول - يعني الشرك في الربوبية - ينقسم إلى كبير وأكبر وليس منه شيء مغفورًا ، فمنه الشرك في المحبة والتعظيم أن يحب مخلوقًا كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله ، وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله) وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم : « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين » ومعلوم أنهم

= ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوّى التراب برب الأرباب ؟ وكيف يسوّى العبيد بمالك الرّقاب ؟ وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات بالغني بالذات القادر بالذات ، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته .

فأي ظلم أقبح من هذا ؟ وأي حكم أشد جورًا منه ؟ حيث عدَل مَن لا عَدْل له ~~بخلقه~~ بخالقه ؟ كما قال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) فعدل المشرك مَن خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فياله من عَدْلٍ تضمن أكبر الظلم وأقبحه .

(الداء والدواء ص ٣٠٤ - ٣٠٥) ط الفوائد

وانظر (ص ٥٣٤) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون مملوكون له وكان كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك ...

(الفتاوى ١٣/ ١٨-١٩).

وانظر (١/ ١٠٤) (٢/ ٣٥) (درء التعارض ١٠/ ٢٧٩).

(قواعد ابن تيمية في الرد على المخالف ص٥٩).

(قواعد التوحيد لعبدالعزيز الريس ص٩).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما تعالى ((ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا)) الآية.

(طريق الهجرتين ٢/ ٦٤٢) ط الفوائد.

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل الدهلوي : إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان

أحدًا بالله ويساوي بينهما بلا فرق بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان

بخلال وأعمال خصها الله تعالى بذاته العلية وجعلها شعارًا للعبودية -

ويجعلها لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له

والاستغاثة به والاعتقاد أنه ناظر في كل مكان وإثبات التصرف له

كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركًا ..(تقوية الإيمان ص ٢٢-٢٣)

(رسالة التوحيد ص ٣٢) بواسطة (الشرك في القديم

والحديث ١/١٣٠).

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله تعالى ~~في حاشيته~~ (باب قول ما شاء الله وشئت) من كتاب التوحيد ٤

قال : أي : أنه من الشرك لما فيه من التسوية بين الخالق والمخلوق

في المشيئة... (الجامع الفريد ٢/٤٩١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : قول (ما شاء الله وشئت) من الشرك الأكبر أو الأصغر

لأنه إن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله فهو شرك أكبر ، وإن اعتقد أنه دونه

لكنه أشركه به في اللفظ فهو شرك ~~[illegible]~~ أصغر ... (الجامع الفريد ص ٤٩٥/٢).

وانظر ص ٤٦٤/٢

وقال المفسر ابن زيد في قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادًا) : هي الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له ...

وقال العلامة ابن قاسم رحمه الله تعالى : وتسوية الخالق بالمخلوق في نوع من أنواع العبادة شرك فإن كان في الأصغر فهو أصغر ، وإن كان في الأكبر فهو أكبر كقوله الله عنهم (إذ نسويكم برب العالمين) ... (الجامع الفريد ٢/٤٥٨).

وقال ابن عثيمين رحمه الله تعالى : والحلف بغير الله شرك أكبر إن اعتقد أن المخلوق في مساوٍ لله تعالى في التعظيم والعظمة وإلا فهو شرك أصغر.

(الجامع الفريد ٢/٤٦٥).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن الشرك به سبحانه الشرك في اللفظ... (الجواب الكافي)

وقال : وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده... (المدارج ١/٣٥٢).

- وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى : في قوله تعالى (يحبونهم كحب الله) :

أي : في كيفيته ونوعه ، فالنوع : أن يحب غير الله محبة عبادة ، والكيفية : أن يحبه كحب الله أو أشد ... وهذا شرك أكبر ... (الجامع الفريد ٢/١٦٨). اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى
بعض مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد
بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه
فهو مشرك، كمن عمد إلى كلام الله الذي أنزله وأمر باستماعه
فعدل به سماع بعض الأشعار ... (الاستقامة ١/٢٤٤).

وقال البريكان في المدخل: والشرك الأصغر: هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل
أو أقوال اللسان، فالشرك في هيئة العمل: هو الرياء
والشرك في أقوال اللسان: هو الألفاظ التي فيها معنى التسوية
بين الله وغيره كقول: ما شاء الله وشئت ... (المدخل لدراسات العقيدة ص١٤٦).

وانظر (الجامع الفريد ١/ ٨٦-٨٧/ من كلام آل الشيخ).

و(المفيد في مهمات التوحيد ص ١٥١).

فصل

- وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا من الله تعالى، لا يطلب ذلك لا من الملائكة ولا من غيرهم فلا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لي، أو اسقنا الغيث، أو انصرنا على القوم الكافرين أو اهد قلوبنا ونحو ذلك ثم ذكر الحديث المذكور فبيّن أن المنهي عنه أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه الا الخالق...

(الاستغاثة ١/ ٣٩٠)

وقال (٣٨٩): لا يطلب من مخلوق شيء على جهة أنه مستقل بالقدرة والتأثير، فإن الاستقلال من خصائص الرب جل وعلا ... أ.هـ

وقال (٤٧٢): ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى لا يطلب إلا منه لا من نبي ولا غيره...

فالاستغاثة المنفية نوعان:

أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقًا في كل شيء.

والثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق...

وقال (ص ٥٩٠): هذا متفق عليه بين علماء المسلمين... (وانظر ص ٧١٦) (وص ٤٥٧) (٥١٠) وغيرها.

وذكر العلامة (الشنقيطي رحمه الله تعالى): أن كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى حق له سبحانه فإذا طلب من غيره كان ذلك صرفًا لخصائص الله لغيره

(أضواء البيان ٣/ ٦١٤)

(المفيد ص ١٥١).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ غفر الله: وعلى هذا تكون الاستعاذة بغير الله شركاً أكبر إذا كان ذلك المخلوق لا يقدر على أن يعيذ أو طلبت منه الإعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله... (الجامع الفريد ١/ ٥٣٧).

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: ومن دعا غير الله من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر...
(الجامع الفريد ١/٥٤٩)

فنلخص مما سبق: أن من طلب ما لا يقدر عليه إلا الله من غيره فقد سوى هذا الغير بالله تعالى وهذا شرك أكبر.

وانظر الفتاوى (١/١٠٤-١٠٦) (قواعد الإلهية ص ٥٣-٥٨)
(الدر النضيد ص ١٠ وص ٩) (الإرشاد للفوزان ص ٣٧).

وعلى هذا فكلما كانت التسوية أكثر كان معتقدها أشد كفراً وشركاً ولهذا نص شيخ الإسلام وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب والشنقيطي والصنعاني وغيرهم أن شرك المتأخرين من عبدة القبور أغلظ من شرك مشركي العرب من وجوه كثيرة...
كما أن شرك التعطيل أغلظ من شرك من عبد مع الله إلهاً آخر والشرك في الربوبية أشنع من الشرك في الألوهية.

قاعدة : أصل الشرك مخالفة الرسل بالبدع وغيرها

• الأدلة : قال تعالى « قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا » فخالفوا الرسول وأصروا على الشرك

بل لم يقع الشرك في قوم نوح إلا بسبب مخالفة دين آدم عليه السلام كما سبق في (قاعدة : الأصل التوحيد والشرك طارئ) وقاعدة (دين الرسل واحد) ...

وقال تعالى « فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا ».

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وأصل الكفر والشرك مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الجهال فيهم من الشرك ومخالفة الرسول ما لا خفاء على المؤمن العليم وهم فيه درجات ... (الاستغاثة) بواسطة (الإجماع ص ١٠٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره أو مطاع غير الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم الفساد في الأرض ، ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره =

= صلى الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، فإن الله أصلح الأرض برسوله صلى الله عليه وسلم ودينه وبالأمر بالتوحيد ونهى عن فسادها بالشرك به ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى غير الله.

ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عمومًا وخصوصًا ولا حول ولا قوة إلا بالله (الفتاوى ٢٨/٢٥).

وقال : ولهذا كان ابتداع العبادات الباطلة من الشرك ونحوه وهو الغالب على النصارى ومن ضاهاهم من منحرفة المتعبدة والمتصوفة ...

(الفتاوى ١/ ٨٧)

وانظر (الاستغاثة ١/ ٣٠٢).
(العراقية ٢/ ٧٣١).

وقال ابن القيم رحمه الله : فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه و التنقص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى ... كما أنك لا تجد مبتدعًا إلا وهو متنقص للرسول صلى الله عليه وسلم وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلًا مقلدًا وإن كان مستبصرًا في بدعته فهو مشاق لله ورسوله .

فالمتنقصون المنقوصون عند الله تعالى ورسوله وأوليائه : هم أهلُ الشرك والبدعة ، ولا سيما من بنى دينه على أن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد اليقين ولا يغني من اليقين والعلم شيئًا فيالله للمسلمين أي شيء فات هذا من التنقص .

وكذلك من نفى صفات الكمال عن الرب تعالى خشية ما يتوهمه من التشبيه والتجسيم لله فقد جاء من التنقص بضد ما وصف الله سبحانه به نفسه من الكمال .

والمقصود أن هاتين الطائفتين هم أهل التنقص في الحقيقة بل هم أعظم الناس تنقصًا لبّس عليهم الشيطان حتى ظنوا أن تنقصهم هو الكمال ، ولهذا كانت البدعة قرينه الشرك في كتاب الله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فالإثم والبغي قرينان والشرك والبدعة قرينان (إغاثة اللهفان ١/ ١٣٠- ١٣١) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء ولهذا ، ولهذا كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركًا فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد منهم حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطلونها عن الجماعات والجُمُعات ويعمرون المشاهد التي على القبور ... المشاهد إنما يعمرها من يخشى غير الله ويرجو غير الله فلا يعمرها إلا من فيه نوع من الشرك ... (الاقتضاء ٢/٢٨١-٢٨٢).

وقال الشيخ: أحمد بن حجر آل بو طامي رحمه الله تعالى: اعلم أن أول ما حدث الشرك في قوم نوح ، ولما أرسل الله إليهم نوحًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة تلك الأصنام عاندوا وأصروا على شركهم وقابلوا نوحًا بالكفر والتكذيب وقالوا كما في القرآن الكريم (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ~~ويعوق~~) الآية . (تحذير المسلمين عن الابتداع في الدين ص١٤٨) ط الإمام البخاري .

وقال (ص١٤٩): ولكن أبى الجاهلون والمخرفون إلا مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وارتكاب نهيه :

= فناقضوه أعظم مناقضة وضاهئوا النصارى في غلوهم وشركهم ... أ.هـ [illegible]

قاعدة: الغلو في الصالحين وغيرهم من أصول الشرك.

• الأدلة: قال تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم »

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله » ~~متفق عليه~~ رواه البخاري (٣٤٤٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » رواه النسائي (٣٠٥٧) وغيره.

وعن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هلك المتنطعون » رواه مسلم.

• قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك صنفان: قوم نوح وقوم إبراهيم، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صور تماثيلهم ثم عبدوهم ... فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء

= والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ...

(الفتاوى ١/١٥٧- ١٥٩).

وقال رحمه الله: والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها وهذا أول الأسباب التي بها ابتدعها الآدميون وهو شرك قوم نوح.

وقال: إن أصل الشرك في العالم من عبادة البشر الصالحين وعبادة تماثيلهم وهم المقصودون ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب ... ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة أو الجن ووضعت الأصنام لأجلهم وإلا فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها بل لأسباب اقتضت ذلك ...

(الفتاوى ١٧/٤٦٠).

(الرد على المنطقيين ص٢٨٥)

وقال (ص٤٦١): ولما كان هذا مبدأ الشرك سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب كما سد باب الشرك بالكواكب ففي صحيح مسلم عن جابر أنه ~~قال~~ صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس: « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ~~ألا~~ ~~فلا~~

- ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ».

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم:

فطائفة دعاهم إلى ~~عبادتها من جهة~~ عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام ...

وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين ... (إغاثة اللهفان ٢/٩٥٧).

وقال (رحمه الله تعالى): ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جُعل فيه حظ من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه - وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله ...

وهذا التشبيه الذي أبطله الله سبحانه نفيًا ونهيًا هو أصل شرك العالم وعبادة الأصنام ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسجد أحد لمخلوق مثله أو يحلف بمخلوق أو يصلي إلى قبر أو يتخذ عليه مسجدًا أو يعلق عليه قنديلًا أو يقول القائل: ما شاء الله وشاء فلان. ونحو ذلك حذرًا من هذا التشبيه الذي هو أصل الشرك ... (إغاثة اللهفان ٢/٩٦٤، ٩٧١).

قال المعلمي رحمه الله تعالى: أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد : « باب ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين » .

وقال في مسائله : الثانية : معرفة أول شرك حصل في الأرض أنه كان بشبهة الصالحين .

قال العلامة ابن قاسم رحمه الله تعالى في شرحه : أي : باب ما جاء من الدليل والبرهان على أن سبب كفر بني آدم أو أول سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم .. هو الغلو في الصالحين من الأنبياء والأولياء وغيرهم بالقول والاعتقاد فيهم وضابط الغلو : تعدي ما أمر الله به ... أراد أن يحذروا الغلو مطلقًا لاسيما في الصالحين فإنه أصل الشرك قديمًا وحديثًا... (الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد ١/٧٣٣) .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ غفر الله له : أحد أسباب وقوع الكفر والشرك هو الغلو في الصالحين بل هو سببهما الأعظم ... (الجامع الفريد ص ٧٦٦) .

قاعدة: أصل الشرك اتخاذ الوسائط في جلب المنافع ودفع المضار وصرف العبادة لها.

• قال تعالى «ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية

«والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» الآية.

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: إن المشركين من العرب كانوا مقرين بتوحيد الربوبية......

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم بل كان حالهم

فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم

= تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم إلى الله وهذا كان أصل شرك العرب قال تعالى حكاية عن قوم نوح « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا يسوع ولا يغوث و يعوق ونسرًا » وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف (أن هذه أسماء ~~قوم~~ رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائل العرب)

... (شرح الطحاوية / ٣٦ - ٣٧) ط ابن تيمية .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وإن أراد - أي المشرك - بالواسطة: أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار ...

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين .

(الفتاوى ١/ ١٢٣ - ١٢٤).

= وقال أبو البقاء الكفوي في الكليات (٥٣٣):

والشرك أنواع : ... وشرك التقريب : وهو عبادة غير الله ليقرب الى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية ... [بواسطة الإجماع في الألوهية ص ٩٩-١٠٠].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : شرك الوساطة :

ووقعت مسألة وهي : أن المشرك إنما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجانب الربوبية وإنما قصد تعظيمه وقال: إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدلني وتدخلني عليه فهو المقصود وهذه وسائل وشفعاء .

فلمَ كان هذا القدر موجبًا لسخطه ومخلدًا في النار وموجبًا لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم ؟

وترتب على هذا سؤال آخر وهو : هل يجوز أن يشرع الله سبحانه لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد من الشرع أم ذلك قبيح في الفطر والعقول ؟ يمتنع أن تأتي به شريعة ؟ بل جاءت الشرائع بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو أقبح من كل قبيح ؟ ...

فنقول وبالله التوفيق : ...

- الى أن قال بعد صفحات : - إذا عرفت هذه المقدمة ، انفتح لك الجواب عن السؤال =

= المذكور فنقول :

حقيقة الشرك : هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به ، وهذا هو التشبيه في الحقيقة ... فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية .

فإن من خصائص الإلهية : التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل ما لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا - فضلًا عن غيره - شبيهًا لمن له الأمر كله ...

فمن أقبح التشبيه : تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات .

ومن خصائص الإلهية : الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية المحبة كل ذلك عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون له وحده ، ويمتنع عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره فمن جعل شيئًا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وأبطله ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره ، مع أنه كتب على نفسه الرحمة ...

(الداء والدواء ص ٢٥٢ - ٢٧٢) بتصرف ط ابن تيمية .

ومن كلام ابن القيم نستفيد قاعدة وهي: «أن أصل الشرك القياس الباطل»

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن الناس كانوا بعد آدم وقبل نوح عليهما السلام على التوحيد والإخلاص حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة والفلسفة الحائرة ... وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء ... (الفتاوى ٢٨/٦٠٤) بتصرف واختصار.

وقال رحمه الله تعالى: وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب بين الملك ورعيته ... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وهؤلاء مشبهون لله: شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادًا، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى.

فإن الوسائط التي الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

(١) إما لإخبارهم من أحوال بما لا يعرفونه - أي الملوك -.

ومن قال إن الله لا يعلم أحوال العباد حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، لأن الله سبحانه يعلم السر وأخفى (وهو السميع البصير)...

(٢) أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه.

والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل قال تعالى «قل ادعوا الذين زعمتم =

= من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا) ...

(٣) أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطبه من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه أو يخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته...

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل شيء إنما يكون بمشيئته...

والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه كما قال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ~~فتبين أن كل من~~ وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فتبين أن كل من دُعي من دونه ليس له ملك ولا شرك في الملك ولا هو ظهير ، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له ، وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكًا في الملك وقد يكون مظاهرًا لهم معاونًا لهم على ملكهم =

... والله تعالى لا يرجو أحدًا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني

... الخ (الفتاوى ١/ ١٢٦-١٣٨) باختصار [راجعه فإنه مفيد].

وانظر (إغاثة اللهفان ١/ ١٢٩-١٣٠) (٢/ ٩٩٤- ٩٩٥).

وانظر (الشرك ومظاهره للميلي ص ٣٣٥)

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نواقض الإسلام: (الناقض الثاني: من جعل بينه

وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفرًا إجماعًا.

وللشيخ رد جميل في كشف الشبهات وفي غيره.

قاعدة: اتخاذ القبور مساجد من أصول الشرك وكذا البناء عليها.

• الأدلة: قال تعالى عنه منهم في أهل الكتاب (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً).

وقال تعالى «أفرأيتم اللات والعزى» قال مجاهد: عكفوا على قبره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق عليه

والأدلة في هذا كثيرة.(1)

• قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك اتخاذ القبور مساجد ..

(الفتاوى الكبرى ٥/٩٠) ط دار الكتب العلمية.

(1) ~~وذكر الشيخ محمد الإمام حفظه الله في كتابه (تحذير المسلمين من ... ص٩٥) القواعد ومنها~~

- ~~الثانية ...~~

قاعدة : اتخاذ القبور مساجد من أصول الشرك وكذا البناء عليها .

• الأدلة : قال تعالى عن منحرفي أهل الكتاب (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً).

وقال تعالى « أفرأيتم اللات والعزى » قال مجاهد : عكفوا على قبره .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً » متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » متفق عليه

والأدلة في هذا كثيرة.[1]

• قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك اتخاذ القبور مساجد ..

(الفتاوى الكبرى ٥/٩٠) ط دار الكتب العلمية.

وذكر الشيخ محمد الإمام غفر الله له في كتابه (تحذير ... من ... ٩٠-٩٥) فوائد ومنها.

- الثانية [illegible]

وقال رحمه الله تعالى: ومنهم من يعلق على القبر المكذوب أو غير المكذوب من الستور والثياب ويضع عنده من مصوغ الذهب والفضة مما قد أجمع المسلمون على أنه من دين المشركين وليس من دين المسلمين...

(الاقتضاء/٤٦٨).

وقال: ولا نزاع بين السلف والأئمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

(الفتاوى ٢٤/٣٠١).

وقال: ولهذا اتفق السلف على أنه لا يستلم قبر من قبور الأنبياء وغيرهم ولا يتمسح به ولا يستحب الصلاة عنده ولا قصده للدعاء عنده أو به لأن هذه الأمور كانت من أسباب الشرك وعبادة الأوثان.

(الفتاوى ٢٧/٧٩).

وانظر الإجماع (١٢١ - ١٢٩).

وقال: وقد اتفق الأئمة على أنه لا يشرع بناء هذه المشاهد على القبور ولا الإعانة على ذلك بوقف ولا غيره. (الفتاوى ٣١/١١).

وانظر (١/٧٣) (٢٢/١٩٤) (١/٣٠٤).

وقال: وأما التمسح بالقبر - أي قبر كان - وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه =

= باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من السلف بل هذا من الشرك . (الفتاوى ٢٧/٩١-٩٢) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في (إغاثة اللهفان ١/٣٤٦) : ومن أعظم مكايد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس - وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته - ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبدت من دون الله واتخذت أوثانًا وبنيت عليها الهياكل ... وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح ... فقد رأيت أن سبب عبادة ود ويغوث ويعوق ونسرًا واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم .

قال شيخنا رحمه الله تعالى : وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك ... أهـ مختصرًا (إغاثة اللهفان ١/٣٤٦-٣٥٠)(الاقتضاء ٢/٦٧٣-٦٧٥) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأصل الشرك إنما نشأ [redacted] من القبور ...
(الاستغاثة ١/٤٥ح) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا =

للقبور حجًا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه "مناسك حج المشاهد" مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام ،

(إغاثة اللهفان ١/٢١٨)

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه ، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره .

فمنها : تعظيمها في الافتتان بها .

ومنها : اتخاذها عيدًا . ، ومنها : السفر إليها .

ومنها : مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها ، وتعليق الستور عليها وسدانتها...

ومنها : النذر لها ولسدنتها .

ومنها : اعتقاد المشركين بها أن يُكشف بها البلاء وينصر بها على الأعداء ويستنزل غيث السماء ، ويفرج الكرب ، وتقضى الحوائج ...

ومنها : الشرك الأكبر الذي يفعل عندها ...

ومنها : مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها .

= ومنها : محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها .

ومنها : الذنب العظيم مع الوزر الكثير والإثم العظيم .

ومنها : إماتة السنن وإحياء البدع .

ومنها : تفضيلها على خير البقاع وأحبّها إلى الله ، فإن عُبّاد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ... (إغاثة اللهفان ١/ ٣٦٨ - ٣٧٠) بتصرف يسير .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وتغليظ النهي عن اتخاذ قبره مسجدًا لما خشيه من تفاقم الأمر وخروجه عن حد المبرّة إلى المنكر وقطعًا للذريعة وقد نبه صلى الله عليه وسلم في قوله : « لا تتخذوا قبري وثنًا يعبد » ولأن هذا كان أصل عبادة الأوثان .

(إكمال المعلم ٢/ ٤٥٠) .

وقال النووي رحمه الله تعالى : قال العلماء : إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية . (شرح مسلم ٥/ ١٣) .

وقال ابن الحاج رحمه الله تعالى : فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة =

= ويتمسح به ويقبله ويلقون مناديلهم وثيابهم به للتبرك وذلك كله من البدع ، لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له صلى الله عليه وسلم وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب .

(الباعث المدخل ١/٢٦٣) .

وانظر (إغاثة اللهفان ١/٣٩١) (الفتاوى ٦/٢٥٠) .

(الباعث لأبي شامة ص ٣٥) .

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى : فإن من أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد أو البناء عليها ... و تجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/١٣٠) .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى : وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار في الأصنام وعَظُم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا ، وبالجملة فإنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام =

= إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفضيح لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف... فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضر من عبادة غير الله وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة وأي منكر يجب انكاره إن لم يكن هذا الشرك البين...

(نيل الأوطار ٤/١٠٢-١٠٣).

ومن القواعد التي تدخل تحت هذه القاعدة التي ذكرناها :

١ - لا يجتمع قبر ومسجد في الإسلام .

٢ - أساس الشرك بناء قبة أو مسجد على قبر تعظيماً له .

٣ - يجب هدم كل بناء على القبور إذا زاد على الشبر .

٤ - بناء المساجد أو القباب على القبر ليس دليلاً على صلاح الباني ولا المبني عليه .

٥ - لا يعرف مكان قبر نبي قط إلا قبر نبينا صلى الله عليه وسلم .

٦ - لم يجعل الله هداية الخلق متعلقة بالقبور .

٧ - العبادات الأصلية ليس منها شيء يشرع عند القبور .

٨ - كل زيارة للمقابر تتضمن فعل ما نهى الله عنه فهي محرمة .

٩ - من أصول الشرك الكذب على الأئمة والأولياء .

(انظر/ تحذير المسلمين للشيخ الإمام/ ٩٠-١٠٦)

وتحرير القواعد المتعلقة بأحكام القبور للنجار ٤٩ - ٥٣).

(الاجماع /١٦٢-١٦٥) . وغير ذلك .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : أصل دين المسلم أنه لا تختص بقعة بقصد العبادة فيها إلا المساجد خاصة (١).

وما عليه المشركون وأهل الكتاب من تعظيم بقاع للعبادة غير المساجد كما كانوا في الجاهلية يعظمون حراء ونحوه من البقاع فهو مما جاء الإسلام بمحوه وإزالته ونسخه... (الاقتضاء ٢/٣٠٤).

قال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وانظر (تحرير القواعد ص ٤٢٦٣١)

(منهاج السنة ٢/٤٣٩).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد : (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) وهذا يعني : لا تقام العبادة في مكان عرف بالشرك ثم ذكر حديث ثابت بن الضحاك ووجه الدلالة فيه أن اتخاذ محل الشرك للعبادة فيه إحياء للشرك [راجع الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد ١/ ٤٨٣ - ٥٠٤].

---

(١) إلا ما ورد به الأدلة كعرفة ومنى - مثلاً -.

قاعدة : التصوير منشأ أصول الشرك .

• الأدلة : حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ذكرت أم حبيبة وأم سلمة كنيسة رأتها في أرض الحبشة فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » متفق عليه

وقد فسر ابن عباس الأصنام التي كانت في عهد نوح : أنها صور رجال صالحين، فلما طال عليهم العهد عبدوها. - وقد سبق - . وهذا أول الشرك ثم جاء بعده عبادة التماثيل والقبور والأصنام والكواكب ... وسائر أنواع الشرك .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة » متفق عليه

- ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته.

والأدلة كثيرة .

• قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (باب ما جاء في المصورين) .

قال الشيخ ابن قاسم رحمه الله تعالى في شرحه : أي : ما جاء من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد ؛ للمضاهاة بخلق الله بل هو منشأ الوثنية وما دخل على القرون قبلنا =

= إنما هو من هذا الباب... (الجامع الفريد ٢/٨١٥).

وقال (ص ٨١٨) (ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته) لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وهو من أكبر وسائل الشرك وذرائعه بل هو الأصل في عبادتها... ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور فكثر التصوير وكثر البناء على القبور وجعلت أوثانًا تعبد من دون الله...

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى (ص ٨٢٠): وكذلك الصور من وسائل الشرك وإنما وقع الشرك في قوم نوح بسبب هذه الصور...

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ومناسبة ذكر القبر المشرف مع الصور: أن كلًّا منهما قد يتخذ وسيلة إلى الشرك فإن أصل الشرك في قوم نوح أنهم صوروا صور رجال صالحين فلما طال عليهم الأمد عبدوها... (ص ٨٣٠).

وقال الفوزان نحوه (ص ٨٣٢) وصالح آل الشيخ (ص ٨٣٦).

قاعدة : إساءة الظن بالله تعالى من أصول الشرك .

• الأدلة : قال تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)

وقال سبحانه (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

وقال جل وعلا (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) الآية .

وقال سبحانه (أئفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين)

• قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى ولهذا قال إبراهيم إمام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين (أئفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) أي : ما ظننتم بربكم ظن السوء حتى عبدتم معه غيره ؟!

=

= فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه (وزير أو ظهير أو عون) وهذا من أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أنه سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك، وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يُعلمه الواسطة أو لا يرحم حتى تجعله الواسطة يرحم ... وهذا أصل شرك الخلق ...

(إغاثة اللهفان ١/١٢٩).

وقال رحمه الله تعالى في تفسير آية الفتح: وإنما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق ~~بـ~~ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية ..... (زاد المعاد ٣/٢٢٩) ط الرسالة.

في كلام جميل جدًا فراجعه يبيّن فيه أن منشأ الشرك والبدع سوء الظن. (ص ٢٢٩ - ٢٣٧).

وقال المقريزي رحمه الله تعالى: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به ولهذا توعدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال تعالى (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا)

(تجريد التوحيد ص ٨٤).

= وقال: واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت
أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين:
أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء.
والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره...
(ص ٨٧-٨٨).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (باب قول الله تعالى «يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية»).

قال العلامة ابن قاسم رحمه الله تعالى: أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله لأنه من واجبات التوحيد... (الجامع الفريد ٢/٧٤٧).

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله وتصديقه بكل ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله و تصديقه بكل ما أخبر به وأنه يفعله وما وعد به من نصر الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل فاعتقاد هذا من الإيمان وطمأنينة القلب بذلك الإيمان.
وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظن الجاهلية المنافية للتوحيد لأنه سوء ظن بالله ونفي لكماله وتكذيب لخبره وشك في وعده... (الجامع الفريد ٢/٧٥١-٧٥٢).

قاعدة : التشبه بالكفار من أصول الشرك .

• **الأدلة** : قال تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

فتبرأ من طريق الضالين والمغضوب عليهم .

(وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)

وقال سبحانه (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واقٍ) (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءت من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

وقال تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) الآية

والآيات كثيرة

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ونقل شيخ الإسلام وغيره الإجماع على تحريم التشبه بالكفار (١/٩٥/الاقتضاء) .

والتشبه بالكفار معناه : هو مشابهة الكفار في عقائدهم أو عباداتهم أو خصائص عاداتهم ...

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فقد تبين لك أن من أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين كما أن من أصل كل خير :

= المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار فكيف إذا جمعت الوصفين ؟ ... (٪١ اقتضاء ١/ ٣٥٢)

وقال: وأيضا ففي الصحيحين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيّب السوائب » ... وهذا من العلم المشهور أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت ويقال: إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام متشبهًا بأهل البلقاء وهو أول من سيّب السائبة ووصل الوصيلة ... ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم على شريعة التوحيد والحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم ، فتشبه عمرو بن لحي - وكان عظيم أهل مكة يومئذ ، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة - فتشبه عمرو بن لحي بمن رآه في الشام واستحسن بعقله ما كانوا عليه ورأى أن تحريم ما حرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام تعظيمًا لله ودينًا ، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب ، وإنما فعله متشبهًا فيه بغيره من أهل الأرض ، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم =

= حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله عزوجل وتغيير دينه ...
(الاقتضاء ١/ ٣٤٩ - ٣٥١) بتصرف.

وقال رحمه الله في قاعدة (النهي عن التشبه بالكفار): هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة كثيرة الشعب واصطلاحًا جامعًا من أصولها كثير الفروع ..
(الاقتضاء ١/ ٧٢).

وقال (ص ٩٣): إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين يقود إلى موافقه ما في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس ....
اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله بعد ذكر الدهرية وفرق الشرك: فهذه الفرق الثلاث سرى داؤها وبلاؤها في الناس ولم ينج منها إلا أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم العارفون بحقيقة ما جاء به المتمسكون به دون ما سواه ظاهرًا وباطنًا.
فداء التعطيل وداء الإشراك وداء مخالفة الرسول وجحد ما جاء به أو شيء منه هي أصل بلاء العالم ومنبع كل شر وأساس كل باطل فليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والباطل والبدع إلا وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة أو من بعضها ... (إغاثة اللهفان ٢/ ١٠١٧) ط دار عالم الفوائد.
وقوله (سرى داؤها) وذلك عن طريق التشبه بهم.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله).

قال العلامة ابن قاسم رحمه الله تعالى: لأن فيه مشابهة ومضارعة للمشركين ظاهرة في المكان

وهو منهي كما في الحديث «من تشبه بقوم فهو منهم» ولو قصد الذابح وجه الله

لأنه احياء للمحل الشركي وتعظيم له فيكون وسيلة الى وجود الشرك ورجوعه،

وسد الذرائع من أهم ما جاءت به الشريعة... (الجامع الفريد ١/٤٨٤).

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربًا

إليها وشركًا بالله قد صار مشعرًا من مشاعر الشرك فإذا ذبح فيه المسلم

ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم

والموافقة الظاهرة تدعو الى الموافقة الباطنة والميل إليهم.

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار في ~~(الجامع الفريد [illegible])~~

شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعادًا للمسلمين

عن الموافقة في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم حتى إنه

نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله

خوفًا من التشبه المحذور. (الجامع الفريد ١/٤٨٧-٤٨٨).

قاعدة: الشرك والكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح وهو أصغر وأكبر

* الأدلة: قال الله تعالى (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم)

وقال تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)

وقال سبحانه (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)

وقال سبحانه (والذين اتخذوا من دون الله أولياء) الآية إلى قوله (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) والعبادة تشمل العمل كالذبح والاعتقاد والقول.

• قال محمد العثماني رحمه الله تعالى: الردة: قطع الإسلام بقول أو فعل أو نية. (رحمة الأمة في الاختلاف ص ٤٩٠).

وقال مرعي الكرمي: ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور: بالقول وبالفعل وبالاعتقاد وبالشك ... (دليل الطالب ص ٣١٧).

وقد بسطنا مسائل هذه القاعدة في (منهج أهل السنة/باب الكفر) و (شرح القول المفيد الكبير ص ١٦٥ – ١٧٨) وانظر (التكفير وضوابطه للرحيلي ص ١٠٥ – ١١٠).

قاعدة: الشرك والكفر والظلم والفسوق ونحوها

قسمان: أكبر مخرج من الملة، أصغر غير مخرج من الملة.

الأدلة: قال تعالى في الكفر الأكبر (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية).

وقال في الكفر الأصغر «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان» متفق عليه

وقال البخاري: باب كفران العشير وكفر دون كفر.

وقال المروزي رحمه الله تعالى: فكما كان الظلم ظلمان والفسوق فسقين كذلك الكفر كفران: أحدهما ينقل من الملة والآخر لا ينقل من الملة. (تعظيم قدر الصلاة ص٣٤٣).

وكذلك قال ابن القيم في (المدارج ٣/٣٣٧ و ١/٣٤٤) والجواب الكافي (ص ١٥٢-١٥٥)

والشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي (الدرر السنية ٢/٧٠-٧١) وهذا مجمع عليه عند أهل السنة

وقد شرحناه في باب (الشرك) و (الكفر) من (منهج أهل السنة) و (الشرح الجديد على القول المفيد ص ١٤٥ - ١٦٣) و (١٦٥ - وما بعدها) وانظر كتاب الرحيلي (٩٣ - وما بعدها).

قاعدة : سوء الفهم أصل كل بلاء وشرك وبدعة لاسيما مع سوء القصد .

• الأدلة : قال تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا » الآية

وقال سبحانه « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » الآية

وقال سبحانه « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » الآيات .

وقوله تعالى « ولكن المنافقين لا يفقهون » « لهم قلوب لا يفقهون بها »

وفيما قص الله ورسوله من أقوام من هذا الشيء الكثير

• الفهم قسمان :

١- فهم الدلالة والمعنى اللغوي وهذا يشترك فيه أكثر الناس

٢- فهم هداية وتوفيق وهذا خاص بالمؤمنين .

والقسم الأول قد يحصل فهمه على غير مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم =

= لأمر ولآخر : كالتعصب والجهل وقلة الفهم والتفريط وغير ذلك .

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى : سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول لاسيما إن أضيف إليه سوء القصد ... (شرح الطحاوية ص٥١٣) ط الرسالة نقلاً عن (الجهل بمسائل الاعتقاد ص٢٩٣) .

- وقال إبراهيم الرحيلي رحمه الله تعالى : وفهم الخطاب على غير المراد منه من أعظم الأسباب التي يحصل بسببها مخالفة النص كما هو معلوم ... (التكفير وضوابط ص٧٥) .

- وبسبب سوء الفهم يحصل الخلط والغلط في ضبط حدود التوحيد والشرك كما هي القاعدة (الخلط والغلط في فهم حدود التوحيد والشرك منشأ الشركيات [illegible]) .

وهذا ما سنشرحه هنا مع القاعدة السابقة .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد ذكر الفروق الكثيرة : فالهدى كله فرقان ، والضلال أصله الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الأوثان ومحبته ومحبة الأوثان ، وبين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه فجعلوا الأمر واحداً واستدلوا بقضائه وقدره على محبته ورضاه ...

و جمعوا بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ، وجاءت طائفة الاتحادية =

فطمّوا الوادي على القَرِي[1] وجمعوا الكل في ذات واحدة ... والمقصو.

والمقصود أن أرباب البصائر هم أصحاب الفرقان فأعظم الناس فرقانًا بين المتشبهات أعظم الناس بصيرة ، والتشابه يقع في الأقوال والأعمال والأحوال والأموال والرجال ، وإنما أتي أكثر أهل العلم من المتشابهات في ذلك كله .

ولا يحصل الفرقان إلا بنور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده يرى في ضوئه حقائق الأمور ويميّز بين حقها وباطلها وصحيحها وسقيمها «ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ».

ولا تستطل هذا الفصل فلعله من أنفع فصول الكتاب والحاجة إليه شديدة ، فإن رزقك الله فيه بصيرة خرجت منه إلى فرقان أعظم منه ، وهو : الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه أهل التعطيل ، والفرق بين إثبات الصفات والعلو والتكلم حقيقة وبين التشبيه والتمثيل ، والفرق بين تجريد التوحيد العلمي الإرادي وبين هضم أرباب المراتب مراتبهم التي أنزلهم الله إياها ، والفرق بين تجريد متابعة الرسول المعصوم وبين إهدار أقوال =

---

(١) القَرِي : مجرى الماء في الروضه ، وطمّ : دفن ، مثل يضرب إذا تجاوز الشر حده .

= العلماء والفائط وعدم الالتفات اليها والفرق بين تقليد العالم وبين الاستضاءة بنور علمه والاستعانة بفهمه ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، والفرق بين الحال الإيماني الرحماني والحال الشيطاني الكفري والحال النفساني ، والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع على كل أحد والحكم المؤول الذي نهايته أن يكون جائز الاتباع عند الضرورة ولا دَرْك على مخالفته ... (ثم شرح ذلك بكلام جميل مهم) ...

(الروح ٢/ ٧٢٣– ٧٤٣) ط عالم الفوائد.

ومن ذلك خلطهم بين الشرك والتوحيد والتعطيل والتنزيه وبين الألوهية والربوبية وغير ذلك مما شرحه ابن القيم ولولا طوله لنقلته ...

مثلا: فلما فسروا الربوبية بالألوهية اعتقدوا أن لا شرك إلا في الربوبية ففتحوا باب شرك الألوهية على مصراعيه كما سبق في قواعد سابقة.

وشرح ذلك صاحب كتاب (الشرك في القديم والحديث ١/ ٣٤– ٥٠) وما بعدها.

ومن ذلك خلطهم بين التوسل الشرعي والتوسل الشركي والبدعي

ومن ذلك خلطهم بين التبرك المشروع والتبرك الشركي والممنوع

وبين الإيمان والإرجاء والتكفير وبين الكفر الأكبر والأصغر ...

فعدم فهم حدود هذه المسائل سبب في ضلال من ضل.

ومن ذلك مسألة الشفاعة كما ذكرها شيخ الإسلام.

ومن ذلك خلطهم بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الأسباب وترك الأسباب والتوكل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأصل ضلال المشركين أنهم ظنوا أن الشفاعة عند الله كالشفاعة عند غيره وهذا أصل ضلال النصارى أيضًا ... (الاستغاثة ١/١٥١).

وقال : ما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به وأريد أن أعرف كيف دخل اللبس على هؤلاء الجهال فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه ، ومن لم يعرف أسباب المقالات الباطلة وإن كانت لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم فوقع لي أن سبب هذا الضلال الاشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال : سألت الله بكذا كما في الحديث « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد » ... فظنوا أن قول القائل : استغثت بفلان كقوله : سألت بفلان ... وأصل الشبهة على هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في (استغثت به) التي يكون المضاف بها مستغاثًا مدعوًا مسؤولًا مطلوبًا منه ، وبالاستغاثة المحضة من الإغاثة التي يكون المضاف بها مطلوبًا به لا مطلوبًا منه ... (ثم شرح ذلك مطولًا).

(الاستغاثة ١/١٨٢-١٨٤)

والشاهد الخلط بين الاستغاثة بالخالق ~~وصفاته~~ وبين الاستغاثة بالمخلوق.

وانظر (ص ٥٠) أيضًا.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ومن لم يعرف لغة العرب التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ، وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه فإن كثيرًا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله ورسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله ورسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك.

وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام وغيرهم ... (الفتاوى ١/٢٤٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم أي: فهم مراد الله عز وجل ومراد رسوله ﷺ لأن كثيرًا من الناس أوتوا علمًا ولم يؤتوا فهمًا... وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فحصل بذلك الضلال.

وهنا أنبه على نقطة مهمة ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطرًا من الخطأ بالجهل، لأن الجاهل الذي يخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم لكن الذي فهم خطأ يعتقد في نفسه أنه عالم مصيب ويعتقد أن هذا مراد الله ورسوله.

=

= ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة ليتبين لنا أهمية الفهم :...

(وذكر مثالين) .. (كتاب العلم ص ٥٣ - ٥٤).

وانظر (جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٤٢).

وقد قال أبو يوسف رحمه الله : من طلب العلم بالكلام تزندق (رواه اللالكائي ١/ ١٤٧).

وذلك لسوء فهمهم

وقيل : نصف عالم يخرب الأديان ونصف طبيب يخرب الأبدان ...(القيادي).

وذلك أيضًا لسوء فهمهم .

ولذلك وُصف الخوارج بقوله صلى الله عليه وسلم : « سفهاء الأحلام » دلالة على سوء فهمهم

(الخوارج : للعضين ص ٣٨).

ومن ذلك سوء الفهم للألفاظ المجملة في العقائد وغيرها

وهذا هو أصل في القاعدة : « الاجمال طريق أهل الضلال » و « الاجمالات غالبًا سبب لكثير من الإشكالات »

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع في الجهل والضلال والفتن والخبال والقيل والقال...

(منهاج السنة ٢/ ٢١٧).

وقال رحمه الله : إن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم التي هي في الحقيقة جهليات ، إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة تحتمل معاني متعددة ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى والإجمال في اللفظ يوجب تناولها بحق وباطل فبما فيها من الحق يقبل من لم يحط بها علمًا ما فيها من الباطل لأجل الاشتباه والالتباس ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا وهو منشأ البدع كلها ...

فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة ولاسيما إذا صادفت أذهانًا مخبطة فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب ؟ ...

(الصواعق المرسلة ٣ / ٩٢٥ - ٩٢٧) ط العاصمة.

وقال : فلا إله إلا الله كم قد ضل بذلك طوائف من بني آدم لا يحصيهم إلا الله واعتبر ذلك بأظهر الألفاظ والمعاني في القرآن والسنة ، وهو التوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عن أضدادها ، وعبادته وحده لا شريك له فاصطلح أهل الباطل على وضعه للتعطيل المحض ، ثم دعوا الناس إلى التوحيد فخدعوا به من لم يعرف معناه ~~الاصطلاح~~ في اصطلاحهم ، وظن أن ذلك =

= التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل ، والتوحيد اسم لستة معانٍ :

توحيد الفلاسفة وتوحيد الجهمية وتوحيد القدرية والجبرية وتوحيد الاتحادية

فهذه الأربعة من أنواع التوحيد جاءت الرسل بإبطالها ودل على بطلانها

العقل والنقل ، فأما توحيد الفلاسفة فهو إنكار ماهية الرب الزائدة على

وجوده وإنكار صفات كماله ... (ثم شرح ذلك بكلام نفيس جدًا)

[الصواعق ٣/٩٣١-٩٣٤].

وانظر شفاء العليل (٣٢٤/١)

وانظر (قواعد الاستدلال من القواعد المثلى) وغيرها

(قواعد توحيد الإلهية ص).

وهذه الألفاظ المشتبهة المحتملة للحق والباطل لابد من فهم مراد المتكلم منها

ثم الحكم على كلامه بعد ذلك كما هو معلوم أما إطلاقها ممنوع شرعًا

ومن باب أولى المنع من الألفاظ الفاسدة المخالفة للشرع كما جعل بعضهم قاعدة

« اللفظ الفاسد شرعًا من كل وجه يمنع منه قائله ولو كان قصده سليمًا »

(قواعد توحيد الألوهية ص ٢٢٨).

(انظر أسباب انحراف الأمة ص ٧٤).

قاعدة: الراضي بالشرك مشرك ولو لم يعمله.

وهذه تدخل تحت قاعدة «لا يتم التوحيد إلا بالبراءة من الشرك وأهله».

• الأدلة: قال تعالى: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه» فلعن الساكت

وقوله صلى الله عليه وسلم في المنكرات والظلم «فكان من شهدها وأنكرها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدها» الحديث

- قال الصنعاني رحمه الله تعالى في القابض للنذور الشركية: إنه تقرير للناذر على شركه وقُبح اعتقاده ورضاه بذلك ولا يخفى حكم الراضي بالشرك «إن الله لا يغفر أن يشرك به»... (التطهير ص ٩٥) ط الألباني وانظر شرح علي آل سنان (ص ١٤٠)

- وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي غفر الله له: لكن إذا رضي القابض للنذر وأقره صار مشركًا..

(شرح التطهير ص ١١٦) ط دار ابن الجوزي

قاعدة : العذر بالجهل في مسائل التوحيد حق (بشروطه وضوابطه) .

- الأدلة : قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا »
وقوله سبحانه ((وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون))
وقوله تعالى عن بني إسرائيل (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) الآيات
وقال سبحانه (رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)
(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلو عليهم آياتنا)
(لأنذركم به ومن بلغ)

وحديث ذات أنواط وحديث الرجل الذي شك في قدرة الله تعالى
ونحوها .

- قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : واسم المشرك ثبت قبل الرسالة فإنه يشرك بربه و يعدل به
و يجعل معه آلهة أخرى ويجعل له أندادًا قبل الرسول ويثبت أن هذه الأسماء
مقدم عليها وكذلك اسم الجهل والجاهلية ، يقال: جاهلية وجاهلًا قبل مجيء الرسول
وأما التعذيب فلا .. (الفتاوى ٢٠/٣٨)

وقال الشافعي رحمه الله: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردّها ومن خالف بعد ثبوت الحجة فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر .. (ذكره الحافظ في الفتح ١٣/٤٠٧) وذكره الذهبي في العلو ص ١٦٦ وصححه الألباني.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: من شك في صفة من صفات الله تعالى ومثله لا يجهلها فمرتد وإن كان مثله يجهلها فليس بمرتد ولهذا لم يكفّر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الشاك في قدرة الله وإعادته لأن هذا لا يكون إلا بعد الرسالة. (الفتاوى الكبرى ٤/٥٠٦).

وقال: إن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسًا ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية، وذلك مثل قوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) ... ونحو هذا في القرآن في مواضع متعددة

فمن كان قد آمن بالله ورسوله ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول، فلم يؤمن به تفصيلًا: إما أنه لم يسمعه أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها =

= أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به ، فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله ورسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه ، وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها ... (الفتاوى ١٢/ ٤٩٣-٤٩٤)

وقال : وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة ... (ص ٤٩٦)

وقال : وأصل ضلال هؤلاء - المبتدعة كالرفضة وغيرهم - الإعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة وابتغاء الهدى في خلاف ذلك ، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه مثل من يرى أن الرسالة للعامة دون الخاصة كما يقوله قوم من المتفلسفة ، وغالية المتكلمة والمتصوفة أو يرى أنه رسول إلى بعض الناس دون بعض كما يقوله كثير من اليهود والنصارى .

وهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين :

أحدهما : أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول ، وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق ، فنفي الصفات كفر =

= والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه أو أنه كلم موسى أو أنه اتخذ ابراهيم خليلا : كفر ، وكذلك ما كان في معنى ذلك ، وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث .

- والأصل الثاني : أن التكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه . وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه ...

(١٢/ ٤٩٧ – ٤٩٨).

وقال (ص ٥٠٠) : وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية ، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر -

وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض فليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة -

ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ، بل لا يزول إلا بعد اقامة الحجة وإزالة الشبهة ... أ.هـ

وقال : فإن نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع ... (١٠/٣٧٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : وبهذا يعلم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفرًا أو فسقًا ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرًا أو فاسقًا إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه . (القواعد المثلى ص ٩٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : مع أن الإمام أحمد لم يكفّر أعيان الجهمية ولا كل من قال (إنه جهمي)، كفّره ، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة لم يكفرهم أحمد وأمثاله بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ... (الفتاوى ٧/٥٠٧-٥٠٨).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : فإذا اجتمع القصد والدلالة القولية أو الفعلية ترتب الحكم (هذه قاعدة الشريعة) وهي من مقتضيات عدل الله وحكمته ورحمته فإن :

- خواطر القلوب وإرادة النفوس لا تدخل تحت الاختيار .
فلو ترتب عليها الأحكام لكان في ذلك أعظم حرج ومشقة على الأمة ،
ورحمة الله وحكمته تأبى ذلك .

- والغلط والنسيان والسهو وسبق اللسان بما لا يريده العبد بل يريد خلافه .

- والتكلم به مكرهًا وغير عارف لمقتضاه ،
من لوازم البشرية لا يكاد ينفك الإنسان من شيء منه ،
فلو رُتِّب عليه الحكم لحرجت الأمة وأصابها غاية التعب والمشقة ،
فرفع عنها المؤاخذة بذلك كله ،

- حتى الخطأ في اللفظ من شدة الفرح والغضب والسكر كما تقدمت شواهده .

- وكذلك الخطأ والنسيان والإكراه والجهل بالمعنى وسبق اللسان بما لم يرده

- والتكلم في الإغلاق ولغو اليمين .

فهذه عشرة أشياء لا يؤاخذ الله بها عباده بالتكلم في حال منها لعدم قصده وعقد قلبه الذي يؤاخذ به .

(إعلام الموقعين ٣/١٠٥-١٠٦) ط الكليات .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: لكن من كان مؤمنًا بالله ورسوله مطلقًا ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر، إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيرًا مما يرد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة، والكفر لا يكون إلا بعد البيان.

(١٢/ ٥٢٣-٥٢٤).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: إن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة كما قال تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا»... وهذا كثير في القرآن يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة وهو المذنب الذي يعترف بذنبه (طريق الهجرتين ص ٦١٠/٢) ط عالم الفوائد.

وقال الشيخ إبراهيم الرحيلي وفقه الله تعالى: وإذا تقرر اعتبار قيام الحجة قبل التكفير فلابد من توضيح ما تقوم به الحجة على المعين والمقصود من قيامها وعدمه وقد اختلف العلماء رحمهم الله في ذلك على قولين مشهورين:

القول الأول: أن الحجة تقوم على الشخص ببلوغها إياه وفهمه لها فهمًا يدرك به المقصود منها.

وبه قال كثير من العلماء منهم ابن العربي وابن قدامة وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم

=

= القول الثاني: إن الحجة تقوم على الشخص ببلوغها إياه وإن لم يفهمها فليس من شرط قيام الحجة فهمها.

وذهب إلى هذا القول بعض أئمة الدعوة من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم.

واحتجوا لقولهم بأن الكفار الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة بسماع القرآن مع وصف الله تعالى لهم بعدم العقل والسمع...

(التكفير وضوابطه ص ٢٦٩-٢٧٠).

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كلامه على مقلدة الكفار وأتباعهم كالنساء والخدم ونحوهم فقال: وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم...

وأما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال وهو بمنزلة الأطفال والمجانين... (طريق الهجرتين ٨٩٧) ط الفوائد.

ثم قال (ص ٨٩٩ - ٩٠٣): نعم لابد في هذا المقام من تفصيل يزول =

في الإشكال وهو الفرق بين مقلد تمكّن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه، والقسمان واقعان في الوجود فالمتمكن المعرض مفرّط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله،

وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكّن من العلم بوجه فهم قسمان أيضًا:

أحدهما: مريد للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة.

الثاني: معرض لا إرادة له ولا يحدّث نفسه بغير ما هو عليه.

فالأول يقول: يارب لو أعلم لك دينًا خيرًا مما أنا عليه لَدِنْتُ به وتركت ما أنا عليه ولكن لا أعرف غير ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي.

والثاني: راضٍ بما هو عليه يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، وكلاهما عاجز.

- وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق =

فالأول: كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغه الوسع في طلبه عجزًا وجهلًا .

والثاني: كمن لم يطلبه بل مات على شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض. فتأمل هذا الموضع.[1]

والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل ، فهذا مقطوع به في جملة الخلق ... والتعيين موكول إلى علم الله عز وجل وحكمه .

هذا في أحكام الثواب والعقاب وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر ، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم .

وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة وهو مبني على أربعة أصول :

أحدها : أن الله سبحانه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه كما قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا » ... وقال تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) والظالم من عرف ما جاء به الرسول أو تمكّن من معرفته ثم خالفه وأعرض عنه وأما من لم يكن عنده من الرسول خبرًا أصلًا ولا تمكن من معرفته بوجه وعجز عن ذلك فكيف يقال إنه ظالم .

(١) انظر كتاب الجهل بمسائل الاعتقاد ص (٢٣٨ - ٢٣٩)

= الأصل الثاني: أن العذاب يُستحق بشيئين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد.

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عليه حتى تقوم حجته بالرسل.

الأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كمن لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئًا ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يُدلون على الله بالحجة يوم القيامة كما في حديث الأسود وأبي هريرة وغيرهما.

الأصل الرابع: أن أفعال الله عزوجل تابعة لحكمته... أ.هـ بتصرف

- من الأدلة على رجحان القول الثاني (أن الفهم شرط في قيام الحجة):
قوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فمن عجز عن الفهم لم يكلف.
وقال ابن اللحام رحمه الله: شرط التكليف العقل وفهم الخطاب (القواعد الأصولية ص٣٣).

- وحديث الأسود وفيه (وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام ~~وما~~ والصبيان يحذفوني بالبعر) فعذره لعدم فهمه.

- وعدم الفهم قسمان (١) عدم إدراك المقصود من الخطاب.
(٢) فهمه على غير المقصود منه كما حصل لعدي في فهم
قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود).
ومن هنا نشأ أكثر الاختلاف في المسائل الفقهية وغيرها

- وأما نفيه عن المشركين العقل ~~والفهم والمراد~~ والسمع فالمراد نفي سماع وعقل الانتفاع كما دل عليه قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) الآية
وقوله (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء) الآية
فالمراد عدم انتفاعهم بالسمع والعقل لجحدهم الحق بعد بيانه.
(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) ونحوها من الأدلة (التكفير وضوابطه ٢٧١ ـ ٢٨٥) (الجهل بمسائل الاعتقاد ص١٨٤)
(التكفير مفهومه وضوابطه ٢/٩٧١)

وقال ابن قدامة رحمه الله: وكذلك كل جاهل بشيء يمكن أن يجهله، لا يحكم بكفره حتى يعرف ذلك وتزول عنه الشبهة ويستحله بعد ذلك.
(المغني ١٢/٢٧٧).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الإسلام... (الفتاوى ٢٣/ ٣٤٦).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا سبحانك هذا بهتان عظيم.

وفي نسخة (عدم من يُفهِّمهم). (فتاوى ورسائل الشيخ ص ١١).

ومراد الشيخ: الفهم المجمل للخطاب الذي يدرك به مقصود الشرع... (التكفير وضوابطه ص ٢٨٧).

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر.

(مؤلفات الشيخ / القسم الخامس / ص ٢٢٠).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كمن

جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول كما فعل الصحابة

في الطائفة الذين استحلوا الخمر ... (الفتاوى ٧/٦١٩) (منهاج السنة ٤/٤٠٤).

وقال: ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل

فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في حقه وذلك

له شروط وموانع (منهاج السنة ٤/٤٥٨).

وانظر (العواصم لابن الوزير ٣/ ١٦٦-١٧٧).

وقال: إن المتأول الذي قصده متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكفر ولا يفسق

إذا اجتهد فأخطأ... (المنهاج ٥/٢٣٩) (الفتاوى ٣/٣٤٨) (١٢/٤٨٩).

(الرد على البكري ٢/٤٩٤)

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: ... ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله ثم عاداه وصد

الناس عنه وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنه دين المشركين

وزينه للناس، فهذا الذي نكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر

هؤلاء إلا رجلًا معاندًا أو جاهلًا ... (مؤلفات الشيخ ٣/٣٣).

وانظر (التكفير وضوابطه ص ٢٦٣-٣٠٦).

وقال ﷻ تعالى (لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم) ونحوه دليل على ضعف من زعم أن أهل الجاهلية ليسوا من أهل الفترة ... (الجهل بمسائل الاعتقاد ص ١٧٢-١٧٣).

فائدة : اشتراط بلوغ الحجة هو من باب الأصل العام في هذه المسألة أما من حيث التعيين فإنه يتوقف على توفر شروط أساسية وأهم هذه الشروط فهم الحجة...
(الجهل بمسائل الاعتقاد ص ١٧٧).

- الأئمة لا يتنازعون في كون فهم الخطاب من المكلف شرطًا في قيام الحجة عليه إذ هو من الأمور المتفق عليها بين المسلمين ، وهذا النوع من الفهم هو الفهم اللغوي لا الفهم المؤثر في السلوك الذي يؤدي إلى الامتثال...

(الجهل ص ١٨٤- ١٨٥)

- قال محمد رشيد رضا : من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة...

وقال : وهذه المسألة قد اختلف فيها كبار علماء نجد المعاصرين في مجلس الإمام عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة فكانت الحجة للشيخ عبد الله بن بليهد بأن العبرة بفهم الحجة لا بمجرد بلوغها من غير فهم وأورد لهم نصًا صريحًا في هذا من كلام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى فقنعوا به.

(حاشية / المجموعة الرسائل النجدية ٥/٥١٤، ٥١٥).

~~تنبيه: العزو للفتاوى إنما هو للطبعة (مكتبة ابن تيمية) هذا فيما نقلناه من كتاب (الجهل) ... وهو موافق للطبعة المشهورة.~~

- المسائل الواضحة تقوم الحجة فيها ببلوغ الرسالة (درء التعارض ١/ ٢٧-٢٨).

- الحجة تقوم بتبليغ أهل العلم لها . (الجهل ص ٢٠٧) (ص ٢١٥-٢١٧) و(ص ٢١٠)

- من أركان قيام الحجة بلوغ النصوص التي توجب أمرًا أو نهيًا أو شرعًا ، فلا تقوم الحجة على شخص حتى تبلغه النصوص الشرعية الموجبة لذلك ... (لأنذركم به ومن بلغ) ... (الفتاوى ٢/ ٤١) (الجهل ص ٢١٢) .

- هناك مسائل من الدين يكون مجرد الإقرار بالإسلام كافيًا في اعتبار الحجة قائمة على المقر فيها كمسألة توحيد الله بالعبادة واتباع شرعه وكالانقياد للرسول ﷺ لا يعذر الجاحد لها أو المقصر فيها بعد إقراره بعقيدة التوحيد المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وهي المسائل التي يلتزم بها المسلم إجمالًا عند دخوله الإسلام وإقراره بشهادة التوحيد ...
والحجة ببيان الكتاب والسنة لمن بلغته ووعاها ... (الجهل ص ٢١٨-٢١٩) وص ٣١١-٣١٥
وانظر ص ١٢٦ من هذه الأوراق

- العلم الواجب من علم الشرع ما احتاج العبد إليه ... (الفتاوى ٣/ ٣٢٨-٣٢٩) (الجهل ص ٢٢٥).

- وجوب تعلم التوحيد (الجهل ص ٢٢٥-٢٢٦)

- الجهل صفة عارضة يمكن دفعها (الجهل ص ٢٢٨).

ضابط الجهل الذي يُعذر به:

قال القرافي رحمه الله: وضابط ما يعفى عنه من الجهالات: الجهل الذي يتعذر الاحتراز عنه عادة، وما لا يتعذر الاحتراز عنه ولا يشق لم يعف عنه.

(الفروق ٢/١٥٠).

ومن أهم الأمور يشق الاحتراز من الجهل فيها:

١ - حداثة العهد بالإسلام ... (الجهل ص ٢٢٧-٢٢٨) (الأشباه والنظائر ص ٢٢٠) (الفتاوى ١١/٤٠٨)

٢ - النشوء ببادية بعيدة لا يعرف فيها العلم ... (الفتاوى ١١/٤٠٨) (الجهل ص ٢٣٠-٢٣١).
ط ابن تيمية

٣ - البقاء في دار الكفر لأسباب صحيحة جائزة فالجهل من مسلم أسلم فيها ببعض الشرائع يكون معذورًا لعدم بلوغ الخطاب إليه وعدم تمكنه من السؤال... (الجهل ص ٢٣١-٢٣٢).

٤ - جهل العامة في الأحكام التي لا يعلمها إلا أهل العلم كما قرره الشافعي...

٥ - من نشأ في بيئة غلبت عليها البدعة ولم يجد سوى علماء البدع ولا قدرة له على تمييز الحق من الباطل...

(الجهل ص ٢٣٢).
وانظر (ص ٢٤٣ - ٢٤٧).

• من المسائل التي لا يعذر فيه (إلا (١) و(٢) و(٣)):

١ - أصول الدين كالتوحيد والرسالة.

٢ - ما علم من الدين بالضرورة ... (رفع الحرج لابن حميد ص ٢٣٠) (الجهل ص ٣٧).
(الجهل ص ٢٩٦) (الفتاوى ١٣/١١٨)
(١١/٤٠٧)

وقال ابن اللحام : إذا قلنا أن الجاهل يعذر فإنما محله إذا لم يقصّر ويفرط في تعلم الحكم أما إذا قصر أو فرط فلا يعذر جزمًا .

(القواعد الأصولية ص ٥٨).

وقال السيوطي : كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية يخفى عليه مثل ذلك .. (الأشباه والنظائر ص ٢٢٠).

وقال المقري التلمساني : أمر الله العلماء أن يبينوا ومن لا يعلم يسأل فلا عذر في الجهل بالحكم ما أمكن التعلم (القواعد ٢/٤١٢).

(الجهل ٢٤٠)

- الخطأ : ضد الصواب ، والمخطئ : من أراد الصواب فصار إلى غيره .

(اللسان).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع الكتاب القرآن والإيمان مثلًا أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها أو لاتباع هواه بغير هدى من الله فهو الظالم لنفسه ، وهو من أهل الوعيد ؛ بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنًا وظاهرًا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهذا مغفور له خطؤه كما قال تعالى ... (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ... (٣/٣١٧).

وقال: وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول ﷺ فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه وقصّر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب ثم قد يكون فاسقًا وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته ... (١٢/١٨٠).

وقال في الرجل الذي أحرقه أولاده: فهذا الرجل اعتقد (أو شك) أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك (أو شك) وأنه لا يبعثه وكلا هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله وكان عنده إيمان بالله وأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته.

فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالًا من هذا الرجل، فيغفر له خطأه أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه[1]، أما تكفير شخص عُلم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم.

(الاستقامة ١/١٦٤-١٦٥)،
(١١/٤٠٩)(٣/٢٣١)(١٢/١)

(١) كذا ولعل الصواب (ذنبه) والله أعلم.

- الجهل بتوحيد الربوبية :

توحيد الربوبية أمر فطر الله الناس عليه فمن أنكره فقد قامت عليه الحجة بالفطرة والتفرد بالخلق والرزق .

وهي حجة أيضا على من أشرك معه غيره في ربوبيته أو ادعى الجهل بذلك .

وقد جاءت الرسل وزادت البيان بهذا التوحيد وقررته بما يكفي كقوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في شرح قوله تعالى ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى))[1] الآيات .

قال : ولما كانت هذه الآية في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والإشهاد العام لجميع المكلفين ممن أقر بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك .

وهو ميثاق وإشهاد تقوم عليهم الحجة وينقطع به العذر ، وتحل به العقوبة ويستحق بمخالفته الإهلاك فلابد أن يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك ما فطرهم عليه من الإقرار بربوبيته وأنه ربهم وفاطرهم ، وأنهم مخلوقون مربوبون ، ثم أرسل إليهم رسله يذكرونهم بما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وأمره ونهيه ووعده ووعيده .. (الروح ٢/٥٨٩) ط الفوائد .

(الجهل ٢٩٩ - ٣٠٥) .

---

(١) ومذهب أهل السنة أن الله أشهدهم ونطقوا بالإقرار حقيقة وأن الفطرة من آثار ذلك الميثاق .

الجهل بتوحيد الألوهية :

- لا عذر لأحد بجهل أو غيره إذا وقع في الشرك في الألوهية لأن أمر التوحيد قد قامت عليه الحجة بصور كثيرة منها الميثاق العام وجاءت الرسل تذكر به ثم الإقرار بالشطر دتين وإنما يعذر بالجهل في بعض تفاصيل هذا الأصل إذا لم تبلغ المكلف الحجة فيها أو قامت في ذهن المكلف شبهات يعذر بها ... (الجهل ص٣١٢) وص٣٠٤-٣٠٥

الجهل بتوحيد الأسماء والصفات :

الجهل في هذا معتبر لعارض التأويل والشبه و ظنهم أنهم يبالغون في تنزيه الله تعالى.

أما من جحد الأسماء والصفات فهذا كافر فلا عذر في ذلك.

فإن جحد بعضها جهلًا عُذر كما سبق كلام الشافعي حتى تقوم عليه الحجة.

(الفتاوى ٣/ ٣٢٨)

(الجهل ٣٢١-٣٢٤).

- الأدلة على العذر في تفاصيل التوحيد :

- حديث الشاك في قدرة الله تعالى ... (الجهل ص٣٢٤) (التمهيد ١٨/ ٤٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فغاية ما في الأمر أنه كان رجلًا لم يكن عالمًا بجميع ما يستحقه الله من الصفات وبتفصيل أنه القادر ... وكثير من المؤمنين قد يجهل ذلك، فلا يكون كافرًا ... (الفتاوى ١١/ [illegible] ٤١١) بتصرف واختصار.

(الجهل ص٣٢٥)

- عوام المسلمين ممن وقعوا في شيء من الشركيات كالتبرك مع جهلهم أن هذا ينافي التوحيد لا يُقدم على تكفيرهم الا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع لأن لديهم الالتزام المجمل بالتوحيد والدين ... (الجدل ص ٢٤٠) وص ٣٠٦

- الإصرار على الشرك بعد قيام الحجة كفر (ص ٣٤٢) (وص ٢٣٧) مصباح الظلام ص ١٢٣ الفتاوى (١/١١٢) (١١٣) (٣٧٢).

- خلاصه الكتاب والمسائل (الجدل ص ٤٠٥ - ٤١٣) (التكفير وضوابطه ص ٩٧٤/٣)

- أجمع العلماء على وجوب قيام الحجة وفهمها (التكفير مفهومه وضوابطه ٣/٩٧٤).